

تأليف

د. هيثم طلعت



العودة إلى الإيمان

تأليف:
د. هيثم طلعت

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٤
رقم الإيداع: ٢٥٦٣١ / ٢٠١٤
الترقيم الدولي: ٩-٧-٨٥١٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (دار الكاتب) أو (مركز براهين) وإنما عن وجهة نظر المؤلف.

دار الكاتب للنشر والتوزيع – الإسماعيلية – مصر
٠١٢٧١٠٣١٢١٨(٠٠٢) – ٠١٠١٥٥٧٧٤٦٠(٠٠٢)

العودة إلى الإيمان

العودة إلى الإيمان



«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل بشكل رسمي من خلال موقعه على شبكة الإنترنت ويُعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

• رؤية المركز: عـــالم بـــلا إلـحـاد.

• رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخـطـاب الإلــحـــادي ونقد مضـامينه العلميـة والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

المشرف العام: أ. عبد اللّه بن سعيد الشهري

مدير المركز: م. أحمد حسن

اللجنة العلمية: د. هيثم طلعت – أحمد يحيى – مصطفى قديح

الإدارة التنفيذية: تتولى إدارة (دار الكاتب للنشر والتوزيع) مهام الإدارة التنفيذية للمركز.

مستشار الشؤون القانونية: أ. محمود بسيوني عبد اللّه

الموقع الرسمي: www.braheen.com

للتواصل والاستفسارات: info@braheen.com

فيسبوك: fb.braheen.com

تويتر: t.braheen.com

يوتيوب: y.braheen.com

هذا الكتاب

لأنَّ الحياةَ واسعةٌ وأعمارَنا قصيرة، ولأنَّ الإحاطةَ بقضايا الدين والعلم مما يفنى دونه العمر ومما لم يكتبْ لأحد، وفي ظل المتغيرات السريعة التي تعصف بنا يومًا بعد يوم؛ يأتي هذا الكتاب.

حيث يطوف بنا الباحثُ سريعًا في رحلة زادها العلم والفكر،[1] يبدأها بالسير بنا عبر دروب الإلحاد الوعرة، فيعرض في الباب الأول مختصرًا للفرق الإلحادية الأشهر الثلاث، وينتقل بنا بعدها إلى فقرة سؤال وجواب مع أشهر الأقوال التي يرددها الملحدون، ليصل بنا أخيرًا إلى محطته الأخيرة، العودة إلى الإيمان.

عدائية الإلحاد، أسبابه النفسية، التوظيف الإلحادي للمعطى المادي، اللاأدرية، الربوبية، تأخر ظهور الكون، السببية والخالق، هل الكفر كالإيمان؟، هل الإلحاد قوام تجربة فكرية محضة؟، هل الدين يعيق العلم؟، ما هو مصدر القيمة؟، ما هي الغاية من الوجود؟، المعايرة الدقيقة للكون، ظهور الحياة على الأرض، الإنسان والدين، انبثاق الفلسفة.. والكثير من المحطات الأخرى التي يتوقف عندها البحث، وقد جعل شرطه الاختصار مع حسن البيان وقوة الحجة.

الشكر موصول للدكتور الفاضل/ هيثم طلعت، على جهده في إخراج هذا المصنف، وكذلك إلى كل من ساهم من فريق العمل بالتنسيق والإعداد والمراجعة، حتى خرج هذا العمل إلى النور. غير أن أعمال البشر كتب عليها النقصان –شهادة باقية على أن الكمال هو لرب العزة سبحانه وتعالى وحده–، فإنَّ مثل هذا العمل لن يخلو من نقص أو خطأ، والأملُ الحَسَنُ في القراء أنْ يلتمسوا العذر، ويُهدونا عيوبنا على طبَق النُصح كي نستدرك ما يحتاج إلى استدراك أو تصحيح في طبعات مستقبلية إن شاء الله.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل..

مركز براهين

[1]– يجدر بنا الإشارة إلى أن هذا الكتاب ترتيبه الثالث بين مصنفات الباحث، لذا فإن من أراد التوسع في القراءة عن مباحث الإلحاد واللادينية وما يتعلق بهما، فإنه يجد ذلك مبسوطا في الكتابين الآخرين (موسوعة الرد على الملحدين العرب) و(كهنة الإلحاد).

عن المؤلف

من الصعب أن لا يكون اسمه قد مر عليك خلال بحثك على الشبكة العنكبوتية عن كثير من النقاط المتعلقة بالحوار الدائر بين الإيمان والإلحاد، حيث أن بدايته في هذا المجال تعود إلى أكثر من عشرة سنوات، لم يترك خلالها بابا لتوصيل رسالته إلا وطرقه.

ورغم أن عمله الأساسي هو الطب، لكن البحث في قضايا الإلحاد واللادينية وما يتعلق بهما هو شغله الشاغل منذ سنوات. قدم خلالها الكثير من المقالات والأبحاث المنشورة عبر الشبكة العنكبوتية، وبدأ رحلته مع الكتب، بكتاب (موسوعة الرد على الملحدين العرب) أتبعه بعد ذلك بكتاب (كهنة الإلحاد: هل تحولت دعاوى اللادينيين إلى ديانة كهنوتية؟) ثم مسك الختام (العودة إلى الإيمان).

أيضًا كان من المشاركين في مجلة "منتدى التوحيد"، وهي أول مجلة متخصصة في الحوار الإلحادي الإيماني، وكذلك شارك في تأسيس مركز ومجلة براهين –وحاليا هو عضو اللجنة العلمية للمركز–، بالإضافة إلى مناظراته التي لا تتوقف مع الكثير من منظري الإلحاد العربي. هذا بالإضافة إلى موقعه الشخصي (الإلحاد في الميزان) والذي يحتوي على كثير من المواد النقدية للإلحاد واللادينية، وبرنامج (وهم الإلحاد) الذي يقدمه على قناة البينة على اليوتيوب، والكثير والكثير مما قد لا يتسع المجال لذكره، فقط ندعوا الله له أن يجعل عمله كله في موازين حسناته إلى يوم يبعثون.



مُقَدِّمَة

لأنَّهُ من المحال أنْ نعيشَ بلا مغزى، ولأنَّك إنْ فقدت القيمةَ فقد فقدتَ كلَّ شيء، ولأنَّ تلك اللحظة التي تشعر فيها أنَّ حياتك بلا معنى هي نفسُها التي تتمنى فيها أنْ يواريك التراب.

لأنَّنا لسنا أبناءَ هذا العالم الخُلص، إذ لو كنَّا كذلك لما شعرنا بالمعاناة ولا الاغتراب ولا كان لهذه الكلمات معنى. لو كنّا أبناءَ هذا العالم لما بدا فيه شيءٌ نجس أو طاهر. إنَّ وجودنا يستمد معناه من عالم آخر، إنَّنا دخلنا هذا العالم برأس مالٍ قيميّ معرفيّ أخلاقيٍّ مبدئي هائل، وليس في هذا العالم ما يبرر شيئًا من ذلك.

أذكر تلك القصة القديمة لذلك الرحالة الذي رأى رؤيا أنَّه سيجد كنزًا عظيمًا يومًا ما تحت الأرض، وظلّ الرجل يجوب البلاد ويقطع الوديان ويخرق الفجاج باحثًا عن كنزه، وبعد أن أمضى السنوات عابثًا في سعيه، أرهقته الأيام وعاد إلى بيته منكسرًا مهمومًا حزينًا، يصارع العبثية والشؤم والحسرة، والضياع واللامعنى واللاغاية، وبينما هو كذلك إذ سقط القدح من يده على الأرض فأحدث رنَّة عظيمة، فحفر بيده ليجد كنوزًا من ذهب لا أول لها في قعر بيته.

إن كنز الإنسان يوجد داخل ذاته وخارج ذاته، في العالم المادي لن يجد إلا ما هو مادي، لن يجد إلا غذاء جسده، أمَّا غذاء روحه فليس من هذا العالم، ولن يصبح الإنسانُ إنسانًا ولن يؤسس لقيمته ومبادئه وأخلاقياته إلَّا بالعودة إلى الإيمان.

لماذا؟ ما الأسباب؟ ما الأدلة؟ ما الحجج؟

كل هذا وأكثر أضعه بين يديكم في هذا الكتاب، والذي نبدأه بعرض مختصر لـ(طريق الهاوية)، عسى أحدًا ينتبه أن لا تزِلَّ قدمُه. نتبعه بعد ذلك بـ(ماذا يقول الملحدون؟!)، وفيه استعراض لأشهر الأقوال المنتشرة بينهم مع الرد عليها. ثم أخيرًا طريق العودة، العودة إلى الإيمان.

إلى الكتاب...

الباب الأول

طريق الهـــاوية

(الإلــحــاد)

ظهور الإلحاد

لا يوجد تاريخ محدد يمكن من خلاله إثبات بداية زمنية للإلحاد، فهو ظاهرة طفيلية عبر الزمان، لا توجد لها جذور حتى عند السوفسطائيين اليونانيين القُدامى، وحتى (أبيقور) مؤسس مذهب المُتعة ومؤسس المدرسة الأبيقورية المُنحلة عاش عيشة متقشفة، وكان رواقيًا ساميًا في أخلاقه، عاش ومات على مذهب أهل الأديان في تبني الأخلاق، وترَك الانغماس في الملذات واتخذ زوجة ومزرعة، وعاش بما تُدره عليه دروس العلم التي كان يُلقيها لتلامذته، وفولتير أول المُلحدين والأب الروحي للإلحاد –كما يُسميه ويل ديورانت صاحب "قصة الحضارة"–، مع أنه لم يكن ملحدًا بالمعنى المعاصر، وإنما كان ربوبيًا، كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه، وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدامه، ويخشى على خدامه من الإلحاد، فيدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة: "لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي"، بل قام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره، نقش على مدخلها "يارب اذكر عبدك فولتير"، وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين، وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة.[1]

فالإلحاد كفلسفة مُستقلة لا توجد له جذور عبر التاريخ؛ لذا يقول المؤرخ الإغريقي بلوتارك: "لقد وجدت في التاريخ مدنًا بلا حصون، ومدنًا بلا قصور، ومدنًا بلا مدارس، لكني لم أجد أبدًا مدنًا بلا معابد". ويقول ويل ديورانت في كتابه (قصة الحضارة): "ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعًا اعتقادًا سليمًا، وهذه في رأي الفيلسوف حقيقة من الحقائق التاريخية والنفسية".[2]

أما في بلادنا الإسلامية فلم يوجد ملحد واحد في تاريخ الإسلام كله، وما يُروى عن ابن الراوندي وابن المقفع وابن سينا وأبي حيان التوحيدي وغيرهم فعلى قلتهم الشديدة لم يكونوا ملحدين الإلحاد الاصطلاحي المعاصر، وإنما كانوا أتباع فلسفات باطنية.

---

[1] ويل ديورانت، "قصة الحضارة"، المجلد ٣٨ ص٢١٤.

[2] المصدر السابق، المجلد الأول ص٩٩.

وفي عصرنا الحديث يصعب بشدة ضبط تاريخ محدد لظهور الإلحاد المُعاصر، لكن أغلب المؤرخين الغربيين يؤرخون لبداية الإلحاد في أعقاب هدم سجن الباستيل سنة ١٧٨٩م مع بداية الثورة الفرنسية، ولم يظهر الإلحاد فعليًا على الساحة العالمية إلا بوصول البلاشفة للحكم في روسيا، في أعقاب ثورة ١٩١٧م، وقد حارب البلاشفة الدين حربًا شعواء، وتبعًا لمجلة التايم في عددها الصادر يوم ١٩٥٦/١/١م فإن: "عدد الكنائس تقلص في الاتحاد السوفيتي من ٤٦ ألف كنيسة سنة ١٩١٧م إلى ٤ آلاف كنيسة سنة ١٩٥٦م"، إلا أنّ البلاشفة الشيوعيين لم يكن إلحادهم إلحادًا علميًا أو فلسفيًا أو فكريًا بقدر ما كان إلحادًا سياسيًا، فالدين من منظور ماركسي هو أحد البنى الفوقية بما في ذلك الفِكر والاجتماع والسياسة والتقاليد والقيم، بينما الاقتصاد هو البنية التحتية الوحيدة للمجتمع الماركسي، وكل البنى الفوقية هي انعكاس لهذا البناء التحتي، ولا توجد بنية فوقية واحدة مُستقلة، وهذا يعني أن الدين عامل عارض يتم إزالته في مرحلة لاحقة حتى ينفرد العامل الاقتصادي بإدارة الأمة الماركسية، لذا فإنّ أغلب إحصاءات أعداد الملحدين حول العالم هي إحصاءات مزيفة وغير دقيقة بالمرة؛ لأن أي دولة تُعلن الحُكم الاشتراكي يتم تحويل عدد سكانها في جداول البيانات من خانة الدين إلى خانة الإلحاد، وهذا ما ذهب إليه صامويل هنتنجتون في كتابه (صدام الحضارات) إذ يقول: "يُشكل الصينيون حوالي ٩٢% من الملحدين حول العالم، فمع مجيء الشيوعية إلى الصين تم تحويل كل أصحاب الديانات الأرضية إلى لادينيين، في كل الدراسات الإحصائية لأصحاب الأديان في العالم".[٣] وهذا تحويل قسري غير موضوعي بالمرة.

الشاهدُ؛ أنّ إلحادَ هذه الأمم هو إلحادٌ سياسيٌّ لا أكثر. ولذا يرى المؤرخون أن الإلحاد انتهى بصورته المؤسسية من العالم مع انهيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٨٩م، فالفترة بين عامي ١٧٨٩م و١٩٨٩م يمكن اعتبارها العصر الذهبي للإلحاد The Twilight Of Atheism، إذًا الإلحاد في الأصل فلسفة طفيلية بلا جذور، أغلب أبعاده سياسية مجردة.

أمريكا ما زالت تصنف الملاحدة على أنهم غير مقبولين في المجتمع الأمريكي، وكان هذا واضحًا جدًا في الكلمة التي قالها جورج بوش الأب حين سأله صحفي أمريكي في عام ١٩٨٧م: هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساويا في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان؟ واشتهر ردُّ بوش حين قال: "لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنون أو حتى اعتبارهم محبين للوطن، هذه أمة موحدة تحت راية الله".

---

[٣] صامويل هنتنجتون، "صدام الحضارات"، ص١٠٧.

وطبقًا للواشنطون بوست في بحث آخر مستقل: "فإنه على الرغم من حصول الشواذ جنسيًا على بعض الحقوق، ونالوا بعض الاحترام من المجتمع الأمريكي، ما زال الملحدون الأمريكيون يمثلون أكثر فئات أمريكا احتقارًا وكراهية بسبب ما يبدونه من انعدام للأخلاق وعدم الثقة ورعونة في مبادئهم، فإن المجتمع الأمريكي سريعاً ما يلفظهم، ويتردد كثيرًا الأمريكيون في إقامة علاقة مع ملحد أو مجرد تولي منصب وظيفي أو حتى المشاركة في فرق الكشافة الشبابية، خاصة لما يبدونه من صفات عدم تحمل الأمانة في اختبارات التأهيل العسكري الذي تُجريه المؤسسات النفسية العسكرية بأمريكا".[٤]

ولذا يرى جون لوك مؤسس الدولة المدنية في رسالته "في التسامح" أن الملحد غير مقبول في المجتمع المدني يقول: "لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة الى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء".[٥]

عدائية الإلحاد الجديد

مما سبق يتضح أنَّ الاستعدادَ الإدراكيَّ العام، والسجل الأحفوري المتطاول لبني الإنسان، يؤكدان أن الإلحاد ظاهرة طارئة، ولا شيء يشفع للوجود الإلحادي بطابعه التبشيري الذي نشهده اليوم عند دعاته.

إن الإلحاد الجديد أصبح يحمل همَّ التبشير بالدوجما الجديدة، وجدول دعاة الإلحاد الجديد مليء بالزيارات التبشيرية في كل مكان، لقد صار الإلحاد الجديد الدين الخفي الأحدث!

ومقولة (الإلحاد دين متخفٍّ)؛ أصبحت حقيقة واقعة كما يقرر الملحد التطوري ديفيد سلون David Sloan، فالإلحاد طبقًا له "يملك كل سمات الدين المتخفي، بما في ذلك حالة الاستقطاب التي تُشخص نظامه الاعتقادي، بالإضافة إلى سلطة قادته المتعالية على النقد".[٦]

ومع بداية الإلحاد على يد جاك هربرت وجاك كلود بيرنارد، بعد الثورة الفرنسية، شجع هؤلاء الهربرتيون –كما كانوا يُسمون– على تحويل كنائس فرنسا –بعد تدنيسها والاعتداء

---

(4) Gregory Paul and Phil Zuckerman, “Why do Americans still dislike atheists?”, Washington Post, Published: April 30, 2011.

(٥) جون لوك، "رسالة في التسامح"، ص٥٧.

(6) Sloan, D. (2012) “Atheism As A Stealth Religion”, Hoff-Post, Posted 12/14/07.

العنيف على آبائها، وتمزيق رموزها– إلى ما كان يُعرف بمعابد العقل Temples Of Reason، وقد قال توماس باين Thomas Paine بعد أن كفر بالإله: "عقلي هو كنيستي".

فالإلحاد أصبح دينًا متكاملًا، ويقدم أجوبته الجاهزة لكل الأسئلة! لقد تجاوز الإلحاد الجديد التبشير؛ ليظهر عدائية صريحة تجاه كل ما هو ديني، وتجاه دعاة الأديان أنفسهم، بل ويعادي جميع المؤمنين. ويدعو الملحد الشهير سام هاريس –وهو أكثر الملحدين حديثًا عن الأخلاق في كتاباته، وأحد فرسان الإلحاد الأربعة كما يُسمى في الغرب– إلى ضرب المسلمين بقنبلة نووية تستأصل شأفتهم إلى الأبد، إذا تطلب الأمر ذلك.[٧] ويزعم الصحفيُّ الملحد كريستوفر هيتشنز أنَّ الدين يسمم كل شيء! إنّ قراءة التاريخ تجعل هذا الادعاء هشيمًا تذروه الرياح، بل إنّ ظهور النظام الرأسمالي –الذي يفخر به دعاة الإلحاد الجدد– كان على يد الحركة البروتستانتية الدينية.

كذلك "لم يكن انحسار العصور المظلمة في أوروبا إلا على يد الإسلام" كما يقول بيتر أوبراين Peter O`Brien.[٨] فبينما كان القضاء الغربي يتوصل لأحكام الإدانة والبراءة عن طريق تعريض المتهم لصنوف التعذيب المختلفة؛ فإن اجتازها حكموا ببراءته وإن أخفق أدانوه، كان للمسلمين نظام قانوني فقهي منقطع النظير! لذا يقرر مارسيل أ. بويسارد Marcel A. Boisard –في دراسة مستقلة– أن أصول القانون الدولي الحديث مستمدة من دواوين الفقه الإسلامي، وتشريع نابليون French Civil Code (Napoleonic Code) مُستمد من الفقه المالكي.

إنَّ الدينَ –كما يقول علماء الإنسانيّات– أصلٌ حضاريّ أساسيّ. في واقع الأمر إن الذي يُسمم كل شيء هو الإلحاد؛ فوالدة كريستوفر هيتشنز –نفسه– ماتت منتحرة مع عشيقها، وأخوه مات منتحرًا أيضا، بسبب بعدهم عن الدين!

لكن رؤية دعاة الإلحاد الجديد هي رؤية دوغمائية حاقدة على كل دين، وغير محايدة على الإطلاق؛ يقول كلٌ من ويل وإريل ديورانت: "حتى المؤرخ المتشكك لديه احترام متواضع للدين؛ ذلك أنه يراه مؤديًا لوظيفته، وأنه لا غنى عنه في كل أرضٍ وجيل".[٩] بل إن تشارلز داروين نفسه يقرر أن الدين قضية عقلية محترمة، يتبعها عقلاء ومفكرون عبر كل العصور،

---

[7] Harris, S. (2006) The End Of Faith, The Free Press, P.129

[٨] في مقال يحمل نفس الاسم، نُشر في دورية The Medieval History رقم ٢ ص ٣٨٧.

[9] Will & Ariel Durant, The Lesson Of History P.43

فيقول: "أما وجود حاكم للكون؛ فهذا مما دانت به جموع من أعظم العقول التي وُجدت على الإطلاق".[١٠]

لقد كان داروين أفضلَ حالا بكثير من تلامذته، وقد اعتزم –كما نقل التطوري ستيفن جاي جولد– الكف عن الخوض في الدين وأسئلة الغاية، وقرر التفرغ للعلم الطبيعي فقط. بينما نرى دعاة الإلحاد الجديد –أمثال دوكينز– يتحدثون في كل شيء وينتقدون كل شيء، يقول الناقد البريطاني الكبير تيري إيغلتون Terry Eagleton: "ريتشارد دوكينز أحد علماء اللاهوت الإلحادي؛ يسهب في الحديث عن علم البيولوجيا، ومبلغه فيه لا يتجاوز ما ورد في كتاب (الطيور البريطانية)".[١١]

وفي مناظرة ريتشارد دوكنز الشهيرة مع ديباك شوبرا –مترجمة للعربية، وموجودة على اليوتيوب– يتحدث عن كونه هو العلم والعلم هو! إنها عجرفة الإلحاد الجديد المعهودة، مع أن ديباك شوبرا أعلى منه قدمًا على المستوى الوظيفي، فنحن أمام إنتاجٍ إلحاديّ متوقع، طمعًا في الوصول بالانحلال إلى محطته الأخيرة.

تعريف الإلحاد

الإلحاد هو رؤية دينية متكاملة للحياة والكون والوجود. ذلك لأنه يرتكز في رؤيته للكون والوجود على أدلة ميتافزيقية، غير مدعومة بمنطق أو عقل أو حُجة أو سند علمي، فهو يزعم أن اللاشيء انضافَ إلى اللاشيء فصار شيئًا عظيمًا من أروع ما يكون، وبمنتهى المعايرة الدقيقة، وأن العشوائية أنتجت حياة، بينما العقل المادي في قمة جبروته الآن لا يستطيع أن يُنتج أبسط صور الحياة، وأن كل القيم الأخلاقية والتأصيلات القيمية التي نُسلم بصحتها –والتي يسير أغلبها في اتجاه مضاد للمادة تمامًا– هي من معطيات المادة ومنتجاتها.

إن الإلحاد –بمنتهى الدقة– اتجاه أعمى، يبحث في غرفة مظلمة عن قطة سوداء لا وجود لها؛ ظلمات بعضها فوق بعض.

إنْ القضيةُ إلّا سفسطة أخطأت طريقها فأنتجت دينًا جديدًا يسمى إلحاد، الإلحاد؛ تلك المحاولة الفاشلة للوصول بطرق ملتوية إلى ما لا ينفع. لذا ظهر كهنة الإلحاد الجدد ممن يبررون الشيء ونقيضه، وصار للإلحاد اليوم سماسرة مكرة، وشمامسة يبشرون به في كل مكان،

---

(10) Darwin, Charles (1902) The Descent Of Man, P.131

(11) Terry Eagleton, Lunging, Flailing, And Mispunching, (2006) Vol.28, No.20,

وقمامصة يلوون عنق كل معطى علمي جديد يتناقض مع رؤيتهم الدينية، فظهرت مؤتمرات تثبيت العقيدة الإلحادية، وندوات الدفاع عن الداروينية، وتنطع آبائهم الكهنة إلى بحث قضايا الوجود دون وسيلة منهجية مناسبة لذلك، فحاربوا قانونًا كونيًا –مثل قانون السببية– بأدلة سفسطية، حتى تستقيم لهم دوجما الإلحاد، وحاربوا أدلة النظام والغائية والقصد والعناية، وتجاهلوا القضايا العقلية الكبرى؛ مثل الإيجاد من اللازمان واللامكان، ودليل الحدوث، ومعجزة خلق الحياة، والنبوات والدين والفطرة والأخلاق، والمعايرة الدقيقة لحظة الخلق الأولى لكل الموجودات، والمعايرة الدقيقة في كل شيء حولنا وداخلنا، ومعضلة استيعاب الخير والشعور بالامتنان.. وما لا يمكن حصره من الأدلة.

لقد صار الإلحاد إهدارًا متواصلًا للعقل البشري، يتطلب من أتباعه باستمرار إنكار بدهيات عقلية ومنطقية، إنه أقسى من أشد الديانات إغراقًا في الوثنية. وصارت القضية الإلحادية اليوم حُبلى بالإشكاليات المعرفية والنظرية والمادية، ومليئة بالتناقضات العقلية، وصارت تُبرر المستحيل العقلي –مثل إيجاد الزمان والمكان والعالم بمنتهى المعايرة الدقيقة من اللازمان واللامكان، وإيجاد الحياة من اللاحياة– من أجل تسويغ وجودها الدوجمائي.

كان هذا مجرد تعريف مختصر للإلحاد الجديد، الذي نبت في الغرب بدواعي سياسية حينًا –كما حدث في الاتحاد السوفيتي السابق–، وبدواعٍ انتقامية حينًا آخر –كما حدث إبان الثورة الفرنسية–، ولم يظهر إطلاقًا كمبرر عقلي مستقل لأية قضية علمية أو فكرية أو مُعطى عقلي، وألحد على صيته الساذج هذا بعض الشباب. لقد أصبح الإلحاد اليوم قالبًا جاهزًا لأي شاب يمر بأزمة نفسية أو مادية أو شبهة وقتية، وصار الإلحاد يولد باستمرار من رحم حُب الظهور والسخط على الوضع الاجتماعي أو السياسي أو المستوى المادي أو العلمي للدول العربية، وصارت القضية نفسية في المقام الأول والأخير، وبحاجة إلى حلول نفسية ومنطقية وإعادة تأهيل قبل أن تكون بحاجة إلى حشد حجج أو أدلة أو سياقات معرفية عقلية.

إنها حالة إدراكية لم تتمتع بأي رسوخ نوعي لدى الوعي الجمعي الإنساني؛ حالة تعاود الظهور كزعانف سمك القرش وسط بحر الدين الهادر، على حد تعبير أ. عبدالله الشهري.

دعونا نستفتي الواقع فنسأل: لو كنّا حقًا أبناء الطبيعة الخُلّص، وأحفاد الكون الشرعيين المنحدرين من صلبه، هل سيحتاج الإلحاد إلى كل هذا العناء؟ وهل كنّا سنجد في طرد فكرة الإيمان أدنى مشكلة؟

والسبب الرئيس في عدم رسوخه على أرض الواقع ليس خطأ أدلته –فما أكثر الوثنيات الخاطئة–، وإنما عدم وجود أدلة أصلًا. ولو كان الإلحاد ينفع الناس أو يملك أجوبة لَمَكَثَ في الأرض، لكنه يبدأ دائمًا وينتهي تحت هجير الحقد على الدين أو تركه لا أكثر، من خلال لعبة عقلية تجري على مستوى قشرة الدماغ الـ Cortex والسفسطة الإنكارية السالبة.

فالإلحاد لا يقدم أي حل لظاهرة الوجود الإنساني ولا يستوعب تعقيداتها. ليكتشف الإنسانُ في نهاية مشروعه الحضاري أنه يبني تابوتًا لا صرحًا، وكلما زاد ابتعادًا عن الدين كلما تفاقمت أزمة الحضارة بشكل متسارع. وبحسب ريتشارد هاينبرج: "الأُسس التي تقوم عليها حضارتنا فاسدة ومفسدة".[١٢]

"لقد أفرزت تلك الصورة ذاتًا إنسانية سريعة التقلبِ وشديدة التفلت؛ فلم يعد للمعنى قرار، ولا للقيمة مرتكز. في عالم كهذا يحط الإلحاد رحاله ويستقر، فعندما تدرك أنك جئت صدفة –وبلا غاية– يصيبك الدوار والغضب الشديد، وتتملكك الرغبة في تحطيم كل شيء حولك".[١٣] هذا هو التحليل الأقرب للظاهرة الإلحادية وانتشارها حول العالم.

هل للإلحاد أسبابٌ نفسية؟

هذا أمر بَدَهِيّ؛ فالإلحاد فكرة متبلورة كأية فكرة أُخرى، يدخل في تشكيلها عوامل موضوعية وذاتية ونفسية لا حصر لها.

وهنا يمكننا قدح زناد العقل لتحرير عدد لا نهائي من الأسباب النفسية للإلحاد، لكن الحقيقة التي لا ننازع فيها هي (أسبقية الرؤية الإلحادية على معطيات العلم الخام)، حيث تمَّ تسليط الأولى على الثانية، ليظهر التوظيف المؤدلج للعلم، على يد دعاة الإلحاد الجديد.

أيضًا يمكننا تحرير حقيقة أن دعاة الإلحاد الجديد تنكروا لأصولهم، في سبيل الدعوة إلى الكهنوت الإلحادي، فأدخلوا في الإلحاد مستنقع من المصطلحات الجديدة مثل؛ الإنسانية والإرادة البشرية والخير للجميع والمثالية والفردوس الأرضي والسعادة الإنسانية، وهذه كلها مصطلحات تسبح في حقول دلالية ومجالات تداولية متفلّتة.

يحذرُ علمُ إدارة المشاريع الخبراءَ مما يسمونه مشكلة تفلت النطاق (Scope Creep)، فهذه (المصطلحات المتفلتة) يكتنفها غموضٌ شديد عند التدقيق، حيث أنها تظل في حالة

---

[12] Heinberg, R. (2005) Memories And Visions Of Paradise, P.196.

[١٣] نانسي هيوستن، "أساتذة اليأس: النزعة العدمية في الأدب الاوربي"، ترجمة: وليد السويركي، دار كلمة، ص٤١.

تماس مع مضامين ميتافيزيقية. ولطالما حذّر أرباب الإلحاد الجديد أنفسهم من إنشاء أيّة صلة بهذا العالم الميتافيزيقي!

فكلمة (إنسانية) تعتبر كلمة ملوثة ميتافيزيقيًا، وهذا ينطبق على بقية المصطلحات أيضًا –يمكن الاطلاع على مقالي (الهيومانية كبديل عن الدين)، حيث قمت بتفنيد هذه المصطلحات من منظور مادي–.[١٤]

واقع الأمر أن دعوى الإلحاد ليست من أجل الخير أو الإنسانية، بل هي مجرد نزعة الإنسان البروميثية لتحرير ذاته؛ تلك النزعة الموجودة منذ بدء الخليقة، والتي تسببت في أول معصية عند الأكل من الشجرة، ثم اغترار قوم عاد بقوتهم، ثم قارون بماله، وفرعون بعلمه، وبني إسرائيل بعجلهم، فأصل الكفر والإلحاد هو محاربة الله –لا الكفر بوجوده–: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾.[١٥]

وهذا الاستعداد يزداد كلما شعر الكافر أن بإمكانه تغيير مسار التاريخ، ظنًا منه أنه سيجعل من التاريخ شيئًا آخر غير الذي في علم الله!

الإلحاد مشروع فاوستي قديم لتحرير الإنسان مما يكبِّلُ إرادته الأبولونية الديونيسية؛ إرادة القوة والخلود والسيطرة والعلم الكلي. وبالتالي سنعود إلى أزمة (تقدم تأثير الإرادة على الدليل)؛ فالإلحاد يعتقد أولًا ثم يستدل، وليس العكس. إنّ بنية الإلحاد تعتمدُ على نمط من التجانس الثقافي السابق على معطيات العلم والمادة، فلا يمكن إذًا الاتكاء على فساد الدين للوصول إلى الإلحاد –كما يروج البعض–.[١٦]

الإلحاد ليس مشكلة مع الجزء الفاسد من الدين، إنما مع الدين ككل. ومن نافلة القول أن فساد الدين مهما تضخم فهو مُستوعب داخل إطار ثقافي ومحتوى مجتمعي، يهضمه ويعيد ضبطه أو يلفظه ويتبرأ منه. فالإلحاد طبقًا لهذا الإطار يظهر كأيّ منتج ثقافي وثني مستقل بناه الإنسان عبر التاريخ.

وفي هذا الإطار نستطيع نحن –المؤمنين– تحليل فكرة تجاهل الإلحاد لكل الأسئلة الوجودية الكبرى، التي لا يملك في جعبته أجوبة عليها؛ يقول دوكينز: إنَّ الغاية من وجودنا

---

[١٤] د. هيثم طلعت، "الهيومانية كبديل عن الدين"، مجلة براهين، العدد الثاني.

[١٥] سورة الفرقان: ٥٥.

[١٦] للأسف يروج حتى بعضُ الإعلاميين السذج لمقولة أن فسادَ الدين سببٌ في الإلحاد، مع أن الواقع العملي يؤكد خطأ تلك المسألة، فأغلب الملحدين هم من الطبقة المترفة التي لم تطلع أصلًا على الدين ولم تعرفْ عنه شيئًا.

مجرد سؤال تافه بلا قيمة، هذا هو إلحاد الشفافية الفجة، لقد وصل الإلحاد الآن لمرحلة يُستبعد أن تدوم طويلًا، إذ أنه من شأن المشروع الذي يلقي جميع أوراقه في وقت وجيز ألا يدوم طويلًا، ثم مَن يملك حق التمييز بين الأسئلة الوجودية المشروعة والأسئلة التافهة؟ هل كون الإلحاد عاجز عن الإجابة يصبح السؤال تافهًا بلا معنى؟

لكن يبقى شيء آخر عصيّ على الفهم وهو؛ كيف يتمرس الملحد على مقاومة شعوره للمعاني الجمالية والقيم المطلقة والأخلاق اللامادية؟ كيف يستمر في سعيه الحثيث نحو التوفيق بين (الضمير والمصلحة) في كل لحظة من حياته؟ كيف يستطيع الملحدُ إخراسَ الأسئلة الوجودية الكبرى الأهم والأعظم في حياته؟!

الإلحاد ليس فطريًا، وإنما يقتضي تقدير وتفكير من جنس تقدير الوليد بن المغيرة ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[17]، ويقتضي بحثًا عن الاستقلال النفسي ﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾[18]، وهنا تخرج الفطرة عن طورها إلى حالة صناعية، بقدر ما يعتري المرء من تكلف ومعالجة واستثناء للعامل العاطفي الوجداني من العقل، وتجريده من أحد أهم خصائصه، ثم بعد ذلك إفساده بحالة صناعية تقديرية، ليخرج من كل هذا بفكرته الإلحادية.

إنَّ القرارَ الإلحاديَّ نفعيٌّ مصلحيٌّ في المقام الأول، وهذا يعرفه من سَبَرَ الإلحادَ وتعمق في أغوار نفس الملحد ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

بل وأصلُ الإلحاد –في الواقع– أنَّه ذو مرتكزٍ نفسيٍّ لا يعدو أن يكون لاأدرية أو لادينية ضحلة، تتشح بزيِّ الإلحاد. هذه حقيقة يعرفها الملحدُ في نفسه! فهو إلحادٌ ناشئ عن شعور بالتفكك المعرفيِّ وضياع الهُويّة، والشعور بالعدمية وهي تأكل الشخصية Corrosion Of Character، حيث يوجد عجزٌ مطْبِقٌ عن سبكِ تبرير منهجي متكاملٍ للإلحاد.

وأحد مبررات الإلحاد أيضًا أنه يؤمِّن للملحد الانضمام للمجتمعات والفئات المتحررة، وبالتالي يوفرُ نوعًا من الانتماء لثقافة جديدة، يظنها أكثرَ رحابة واتساع أفق.

---

(17) سورة المدثر: ١٨.

(18) سورة غافر: ٨٣.

إذا كان صحيحًا فهو غير صحيح!

الذي يزعم أنّ الإلحادَ فلسفة عقلية هو أجهلُ الناس بالعقل، لأن لازم قوله بإلحاده هو تطوره عن كائنات أدنى، وبالتالي ليس لعقله ثقة ولا لمعرفته قيمة. يقرر ذلك تشارلز داروين فيقول: "ولكن هنا يراودني الشك الآتي؛ هل يمكن أن يكون عقلُ الإنسان –والذي أؤمن إيمانًا جازمًا أنه تطور عن عقلٍ كذلك الذي تمتلكه أدنى الكائنات– محلًا لثقتنا، وهو يُدلي بتلك الاستنتاجات العظيمة؟".(١٩) وقال داروين في موضع آخر: "ينتابني دائمًا شكٌّ فظيعٌ حول ما إذا كانت قناعاتُ عقل الإنسان –والذي بدوره تطور من عقول كائنات أدنى– تتمتع بأيّة قيمة أو تستحق أدنى ثقة".(٢٠)

وبالتالي فلا يكون العقل عقلًا إلا بإثبات الخالق، أو بمعنى أدق العاقل الوحيد هو المؤمن، وغير المؤمن بلا عقل، باعترافه هو وبلازم إلحاده، ففي واقع الأمر التطور أصم أبكم أعمى، غيرُ آبه بالقيمة المعنوية للعقل، ولا بالأحكام التي يُصدرها العقل، ولا يلزم منه أن يعطي العقل قيمًا لها أحكام مطلقية، وهذا يلزم عنه ألا يتمسك ملحد ولا يثق بأيٍ من أحكامه العقلية، بل كل حكم عقلي أو تقييم معرفي يراه يجب أن يفترض أنه لغو فارغ بلا معنى. وكلّ ما يؤيده أو يعارضه من أحكامٍ (قيمية أو أخلاقية أو معرفية أو منطقية) يجب عليه أن يوقن أنها مجرد وهم وهلاوس غير واقعية.

وكما يقول المفكر الأيرلندي سي إس لويس C. S. Lewis: "لنفترض أنها مجرد ذرات داخل جمجمتي تُعطي ناتجًا ثانويًّا يسمى (الفكر)، إذا كان الأمر كذلك فكيف أثق أنّ تفكيري صحيح؟ إنه مثل إبريق الحليب الذي عندما تخضه تأمل أن الطريقة التي تتناثر بها بقع الحليب ستعطيك خريطة لمدينة لندن! ولكن إذا لم أستطع أن أثق بتفكيري أو بالحجج التي تؤدي إلى الإلحاد؛ بالتالي لن يوجد سببٌ لأكون ملحدًا أو أيَّ شيء آخر، إلا إذا كنت أؤمن بالله، لا أستطيع أن أؤمن في الفكر، حيث لا يمكن أبدًا أن أستخدم الفكر لعدم الإيمان بالله".

فلن يُلحد الإنسانُ إلا إذا قرر مسبقًا أنه مخلوقٌ لله، وأن عقله يُصدر أحكامًا مُطلقة؛ في هذه اللحظة وحسب يمكنه أن يثق في أحكام عقله وما يصدر عن هذه الأحكام.

والبشر يتملكهم شعور اضطراري أنه يجب عليهم أن يثقوا في قيمة أحكامهم، ولا يتأتى ذلك إلا بافتراض تميز موقعهم الإدراكي من أصله، يقول الناقد الأيرلندي الشهير كليف لويس

---

(19) Francis Darwin, "The Life and Letters of Charles Darwin", Charles Darwin To W. Graham, Vol.1, p282.
(20) Ibid p285.

C. S. Lewis: "لا يمكن لاقتناعنا بأن (الطبيعة تعكس نظامًا) أن يكون محلَّ ثقتنا إلا إذا اعتبرنا نوعًا خاصًا من الميتافيزيقيا صحيحًا".[٢١]

وهذا ما قصده إدموند هوسرل حين قال: "ما المانع أن تكون القوانينُ المنطقية سمة عارضة للعقل البشري، وأنها فقط صارت كذلك في سياق التطور". وبالتالي خطأ كل معرفة تنبني عليها.[٢٢]

إذًا لازم قول الإلحاد هو عدم العقل، وهذا خطأ الإلحاد؛ إنَّ الذي يزعمُ أنه ملحد يقرّرُ سلفًا أنه مخلوق لله، ولذا فالإلحاد بهذه الصياغة ليس صحيحًا حتى لو كان صحيحًا.

متناقضة الإلحاد

إذا كان الإلحادُ يملك أجوبة عن (الأسئلة الكلية، الأسئلة الوجودية الكبرى، أسئلة النشأة، الغاية، الحكمة، المعنى) فهو دين متكامل الأركان، وننتظر من الملحد أن يخبرنا عن سنده الميتافيزيقي. وإذا كان الإلحاد لا يملك أجوبة عن الأسئلة الكلية، فهو لا يصلح بحال للإنسان، ولا يعنى بتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، بالتالي لا معنى لاعتناقه عقليًّا أو منطقيًّا.

يقول الفيزيائي الملحد ستيفن واينبرج: "مهما تقدمنا في العلم، سوف نظل مع سؤال لماذا (ما الغاية؟)، يظهر أن هناك معضلة متأصلة لن يتمكن العلم من اجتثاثها".[٢٣]

يقول الأستاذ عبد الله الشهري: "في الواقع الأسئلة الوجودية الكبرى تعني البشر جميعًا؛ لأنها أسئلة مشروعة وطبيعية، ناشئة عن العلاقة التلقائية بين الوعي ومطلق الوجود، لذا أنا أقول –دائمًا– إنّ الإيمانَ هو ردة فعل تلقائية تجاه الكون والحياة، أما الإلحاد فهو ردة فعل غير تلقائية تجاه التدين، فضلًا عن أن يكون ردة فعل غير تلقائية تجاه الكون والحياة، لكن محاولات الإلحاد الجديد تجعله يبدو تلقائيًا، مع أن أبسط التحليلات للقضية الإلحادية تبين مدى المعاناة والمعالجة والتجشم التي يعانيها الملحد حتى يستطيع أن يهضم الإلحاد".[٢٤]

---

[21] Nathan, N. M. L. , “Naturalism And Self-Defeat”, P.135.

[٢٢] إدموند هوسرل، "فكرة الفينومينولوجيا"، ترجمة: د. فتحي إنقزو، ص٥٤.

[23] Weinberg, S. (1999) A Designer University? Vol.46, No.16

[٢٤] عبد الله بن سعيد الشهري، "ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان"، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى٢٠١٤، ص١٠٣ بتصرف.

الإلحاد يعاني من صمت مطبق وجهل كليٍّ أمام أسئلة الوجود الكبرى، المنبثقة عن وعي الإنسان ومكانه في العالم، مثل؛ لماذا نحن هنا؟ ما الغاية من الوجود؟

هذا الصمت المطبق والجهل الكلي بالإجابة، لا يعني عدم أهمية الأسئلة –كما يحاول الكاهن ريتشارد دوكينز أن يبرر جهل الإلحاد بالأجوبة– بل يعني خطأ الأصل الفلسفي الذي نحاول أن نستقي منه الأجوبة، والأصل الفلسفي هنا هو الإلحاد.

الدين يحدد بالضبط مكان كل فرد منّا في هذا العالم، بينما ينتهي الإلحاد بالعجز عن تفسير ذاته، كل ما يفعله الإلحاد بالضبط هو تكثير المفاهيم حول الأصول والثوابت، حتى يُربك الهوية، ويشلَّ القدرة على تحديد البدهيّة العقلية والرؤية الفضلى للعالم، وهذا مدخله الأشهر على السُذج، فالإلحاد لا يصلح لكائن مثل الإنسان، إنّه لا يحمل ولا يُعنى بحمل أيّة أجوبة، هذه حقيقة لا علاقة لها بكونك مؤمنًا أو ملحدًا، عندما تصل إلى هذه الحقيقة تكون قد قطعت نصف الطريق نحو الإنسان، (نحو الإيمان).

التوظيف الإلحادي للمعطى المادي

من المعلوم للباحثين أن داروين كان لا يطيق الإلحاد، وكذلك بعض كبار منظري التطور – أمثال فرانسيس كولينز ومايكل دنتن– يرون أن التطور سُنة الخالق السببية في إخراج أشكال الحياة من العدم إلى الوجود.[٢٥]

وللبعض أن يوظف مسألة فيزياء الكم توظيفًا إلحاديًّا في مقابل أفذاذ العلماء ممن يوظفونها توظيفًا إيمانيًّا يُستدل به على عظيم علم الله ودقيق صنعه وإبهار خلقه، وضعف الإدراك البشري وقصوره وتحجمه، فما أعمق الهوة بين العقل وبين الأشياء في الخارج –كما يقول كانط–، بل إن مؤسس نظرية الكم ماكس بلانك كان من أكثر الناس تدينا، ومن كلماته: "المكون الديني شيء جوهري ليعيش الإنسان في تناغم مع ذاته".[٢٦]

وللبعض أن يوظف مسألة الخير والشر توظيفًا إلحاديًا، فنقول له: هذا توظيف أملاه عليك موقفك الانفعالي وليس موقفك العقلاني، وإلا فقد وظفها آخرون توظيفًا إيمانيًا، ورأوا أسرارًا أخلاقية بعيدة الغور ودروسًا من الحكمة تُعطي تجليات نورانية للعقل والروح.

---

(٢٥) المصدر السابق ص٦٧.

(26) Planck, Max (2001) The Mystery Of Being, P.161

وللبعض أن يوظف الاستدلال بالسببية على بواطن عالم الغيب توظيفًا إلحاديًا، مع أن عالم الشهادة المادي لا يحكم على عالم غيبي لا نعرف عن قوانينه شيئًا!

فالتوظيف شيء والحقيقة ذاتها شيء آخر تمامًا.

مهما كانت الهيئة التي يمكن أن نتخيلها للوجود المادي، فإنه لا دليل فيها على عدم وجود خالق، بل ما دام للوجود المادي هيئة تستحث الإدراك وتتيح نفسها للفهم بطريقة محددة، فالأصل في ميزان الخبرة البشرية أنها دالة على خالق يعلم ويفعل، هذا ما يقضي به المنطق الطبيعي، وهو المتسق تمام الاتساق مع إملاءات خبرتنا، إذ لسنا مُكلفين لا قدرًا ولا شرعًا بأكثر مما تأذن به خبرتنا، فما الباعث على التنكر لها؟ ولِمَ التعنتُ في إبطال دلالتها؟

حقًّا؛ (الأصل في الاستصحاب بقاء ما كان على ما كان) قاعدة أُصولية رائعة، طبقها الملحد فافترض بناء على شرطه في النظر ألا خالق، حتى يكون الدليل على وجود الخالق، ونُطبقها نحن فنستصحب أن هيئة الوجود معنى زائد على مجرد الوجود، وأن هذا المعنى الزائد أصل دليلنا على خالق مريد حتى يرد الدليل على انتفاء ذلك الأصل. الموقف الثاني – الديني– أسلم وأحكم وأعلم؛ لأن المثبت مقدم على النافي، لأن المثبت معه زيادة علم؛ فلله ما أروع أصولنا وقواعدنا وما أمتن ديننا![٢٧]

لكن ما الذي يجعل الالحاد يعاود الظهور ويقاوم الضمور على نحوٍ لمْ يسبقْ له مثيل في سالف العصور، على رغم هشاشته تلك؟

كل حجج الإلحاد –على الإطلاق– حمالة أوجه، ولا تفضي بمجموعها –فضلًا عن آحادها– إلى الإلحاد. كل حججه توظيفية لا واقعية، وبالتالي تُقَدِمُ تأثير الإرادة على الدليل، وهذا ليس سبيلنا.

بين الدين والإلحاد

الدين: منظومة معرفيّة مثقلة بمضامين غيبية، تدعي الشمولية وامتلاك الحق، تتسم بنظام قيمي واضح المعالم، وتأبى تقديم التنازلات في الفروع المستقرة فضلاً عن الأصول والثوابت. والإسلام –كأصل للأديان– يأبى تقديم التنازلات، ولا يعني ذلك أنه في حالة انفصام عن السياسة أو الحرية أو التملك، لكنه في حالة مواجهة مع صورٍ محددة من تلك الأنظمة.

---

[٢٧] المصدر السابق ص٧٠–٧١.

في المقابل يميل الإلحاد بطبيعته إلى تكثير المفاهيم حول الأصول والثوابت، حتى يُربك الهوية ويشلَّ القدرة على تحديد البدهيّة العقلية والرؤية الأفضل للعالم، وهذا مدخله الأشهر على الشباب الصغار. وهنا نجد أن الإسلام يتميز بصرامة توحيدية شديدة وتصور واضح لسمو الذات الإلهية –كما يقول المؤرخ أرنولد توينبي–، فالإسلام هو أنقى أديان التوحيد.

بينما نجد أن الإلحاد بصيغته العربية –مثلًا– هو رضوخ كامل للمناخ الثقافي المتغلب، وهو الآن المناخ الغربي، بالتالي نحن أمام ردة فعل مغلوبة مسحورة لا فعل ناشئ عن استقلال بصر وحسن تقدير للأمور، وحسٍّ نقديٍّ متوازن.

الإلحاد هو وعي طارئ، مرهون بفرضيات صاغتها شروط ثقافية وحضارية طارئة؛ فهو ظاهرة تتمدد وتنكمش، وغول يصحو ويغفو، في حين يبقى الدين جزء لا يتجزأ من التكوين النفسي العام. فالدين مبنيّ على عقيدة الأمل والنجاة، بينما الإلحاد بنيَ على عقيدة الغرور والاكتفاء، الدين يُطمئن كل فرد على موقعه من هذا العالم، بينما يقوم الالحاد على شهوة مسبقة لدى البشر لحب التملك والسيطرة ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.[٢٨]

إنه فقط شعور بالاقتدار؛ ومصدر هذا الشعور الحادث الجديد هو السيطرة التقنية على العالم ﴿ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[٢٩]

يتصور الملحد أن الدين نشأ نتيجة الخوف والحاجة، وأن ما توصلنا له اليوم من علم وتقانة وصناعة يعني أن شمس الدين قد غربت. في الواقع لو كانت القضية هي (الحاجة والخوف)؛ فإنسان العصر الصناعي أشد حاجة وخوفًا من أيِّ وقت مضى، إن الإنسان المعاصر يشكو أمراضًا حسية ومعنوية لم تكن ظهرت بهذه الصورة عند أسلافنا.

فقد ذابت الهوية وتفككت الصلات الاجتماعية، وظهرت أنماط جديدة من التحكم والسيطرة، وارتفعت معدلات الفساد والبطالة والفقر والتلوث والجريمة والاكتئاب؛ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.[٣٠]

---

[٢٨] سورة الأحزاب: ٧٢.

[٢٩] سورة يونس: ٢٤.

[٣٠] سورة الروم: ٤١.

لذا فالدين قضية مرتبطة بالإنسان أيًّا كان وضعه في هذا العالم، وأيًّا كان مستوى الرفاهية التي حققها، تقول كارين أرمسترونج: "العالم يشهد صحوات دينية، خلافًا للتوقعات العلمانية الواثقة في منتصف القرن العشرين، الدين لن يذهب".(٣١)

يعتبر الإلحاد الجديد أثرًا لسياق ثقافي حضاري نفسي خاص، وسيزول بزوال ذلك السياق، بل وأتوقع عودة عالمية جامحة للدين، لكن بعد حدث حضاري يزلزل الإلحاد.

يقول دانييل بل في كتابه (التناقضات الثقافية للرأسمالية): "بعد بسط الإنسان قوته على الطبيعة، ما الأشياء التي تهدي سلوك الانسان؟ لا يمكن أن تكون في الطبيعة، إذ أنها مجموعة من القيود الفيزيائية في طرف ما، ومجموعة من الأسئلة الوجودية في الطرف الآخر، يسلك الإنسان سبيله خلالها من غير خريطة. لم يبق إلا الجواب التقليدي وغير المحبذ؛ الدين، فهو مفهوم متعالٍ خارج الانسان، وفي الوقت ذاته يصل الإنسان بما وراء نفسه".(٣٢)

فالإلحاد يناسب السياق الثقافي المترع بالتناقضات؛ حيث أسئلة المعنى والخير والشر، واللامركزيات التي تطرح أسئلة السلطة والحرية، والتعدديات التي تواجه أسئلة الهوية والتعايش، وهنا ينجذب المحلُّ القابلُ لهذا السياق المتناقض فينشأ الإلحاد.

الإلحاد ينشأ كنتيجة لإشكاليات معرفية وليس كموقف فطري تلقائي تجاه الحياة والكون، إنّه أشبه بالشخص الذي يتم إغراؤه بالاستمرار في التدخين، فالتدخين ليس حاجة فطرية أو حاجة يمليها سياق بذاته، وإلا لكانت حاجتنا للدخان كحاجتنا للأوكسجين، لكن المدخن اكتسب قابلية –استعدادًا نفسيًّا– بالتعود على التدخين، بالتالي فإنّ اختياره هو المتسبب في صنع حالة اللاتكافؤ بين حالته قبل وبعد، وهنا يظهر الإلحاد كحالة مكتسبة للنفس الإنسانية، فيها كثير من التجشم والمعالجة، وليست حالة تلقائية فطرية بَدَهِيَّة!

إذا أراد الإنسانُ أن يُقلع عن الإلحاد فعليه أن يبحث عن عروةٍ وثقى تجيب عن أسئلته الوجودية، وتجمع شتات الفكر والوجدان على مطلب كليٍّ واحد، تمامًا كما يأمل الفيزيائيون اليوم في الوصول إلى نظرية كلية واحدة TOE، لن يكون للنفس بعد ذلك التفات للمتشابه على حساب المحكم، ولن يخلط بين وسيلة وغاية، فلا شيء أكثر جناية على الملحد من غروره وافتراضه المسبق عدم وجود عروة وثقى.

---

(31) Armstrong, Karen (2009) “The Case For God”, p9.
(32) Bell, D. (1996) “The Cultural Contradictions Of Capitalism”, p166.

يقول باسكال روبنز: "لا شيء يتهدد إنسان الغرب سوى اعتداده بنفسه –غروره–، ولذا يتعين وضع حد لشهواته الأكثر إفراطًا، والحيلولة دون التحول إلى رضيع نهم مشاكس".[٣٣] فليس أشد خطرًا من انعدام البدهيات؛ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.[٣٤]

لماذا ألحدوا؟

ما الذي حدث بالضبط؟ ما حدث ببساطة هو تضخم العقلانية الأداتية الشكلية Instrumental على حساب العقلانية الموضوعية الغائية Substantive، وتم تهميش سائر العقلانيات. ولا تعود أمراض الغرب في الأصل إلى العقلانية، ولكن إلى تأليه العقلنة– وحصر العقلنة–.[٣٥]

والإنسان الحديث آخذ في الاختفاء وراء الأدوات التي يستخدمها –كما يقول ماكس هوركهايمر–، حيث تقود العقلية الشكلية الأداتية إلى النظرة اللحظية الآنية في كل فعل، في المقابل يقوم العقل الغائي برؤية أبعد؛ فالمؤمن يفعل الخير راجيًا الثواب من الله.

مشكلة العالم أن الغرب يتخيل نفسه ذا العقلانية الأفضل والأقرب للمنطق، وبقية العالم يصدقون ذلك ويسيرون خلفه، يقول كبير فلاسفة فرنسا إدغار موران: "معظم الغربيين يعتقدون أن العقلانية امتيازٌ يخصهم وأمرٌ يستأثرون به".[٣٦] وما الإلحاد الجديد إلا عرض من أعراض ذاك العقل، الذي يُراد فرضه بشتى الحيل على العالم، وهذا العقل هو عرض من أعراض رغبة متعاظمة في التحرر والاستقلال عن الله.

لا ننكر أن هذا العقل أجاب عن أسئلة الوجود الخاص أجوبة وافية، لكنه يعاني من صمت مطبق وجهل كليٍّ أمام أسئلة الوجود الكبرى، المنبثقة عن وعي الإنسان ومكانه في العالم. لذا يقول الفيزيائي الملحد ستيفن واينبرج: "مهما تقدمنا في العلم سوف نظل مع سؤال لماذا؛ يبدو أن هناك معضلة متأصلة لن يتمكن العلم من اجتثاثها".[٣٧]

---

[٣٣] باسكال روبنز، "بؤس الرفاهية"، ترجمة : عبد الله السيد ولد أباه، ص١٨٠.

[٣٤] سورة الأنعام: ١١٠.

[٣٥] إدجار موران، "ثقافة أوربا وبربريتها"، ترجمة : محمد الهلالي، دار توبقال، ص٣١.

[٣٦] المصدر السابق ص٣٢.

[37] Weinberg, S. (1999) “A Designer University?”, Vol.46, No16.

مشكلة العقل الأداتي الشكلي؛ أنه يقوم باختزال الأسئلة الوجودية الكبرى إلى أسئلة وجودية صغرى، ليس لأن هذا حل عقلي أو علمي، بل لأنه الحل الأوحد الذي تتيحه المادة، فلا تملك المادة تحرير جواب عن الأسئلة الوجودية الكبرى.

لكن في الواقع أن الأسئلة الوجودية الكبرى هذه تشغلُ البشر جميعًا، لأنها أسئلة مشروعة وطبيعية، ناشئة عن العلاقة التلقائية بين الوعي ومطلق الوجود، ولا تُتاح الإجابة على تلك الأسئلة إلا باستقاء من الماوراء.

إنَّ النزعة التي يتيحها العقل الغربي هي نزعة تجعل كل شيء مقصور على المادة، وهذا سبب شقاء العقل وبؤس المعرفة وعقم الأجوبة، لقد أصبح الإلحاد نتيجة لا سببًا لتلك النزعة، أما سائر الملحدين العرب فحالهم كما يقول إيليا أبو ماضي: أبصرت قدامي طريقًا فمشيت.

ما بعد الإلحاد

السياق الذي ينشأ فيه الإلحاد يكون سياقًا مترعًا بالتناقضات، ومناهض للمركزيات، ومعزز للنسبيات، وهذا يؤكد أنَّ السياقَ الإلحاديَّ سياقٌ هروبيّ، وليس سياقًا فكريًا مستقلًا.

لا يوجد ما يميز الانسان بسبب إلحاده، بل العكس هو الحاصل دومًا على المستوى الفردي، وعلى مستوى الأمم التي طبقت الإلحاد ودمرت العالم.

ولذا ظهرت نزعة ما بعد الحداثة؛ وهي نزعة تتربص بكل فكرة شمولية فتمزقها إربًا، إنّها تقوم على تدمير السرديات العلمانية الكبرى، ولذا فهي ليست أقلَّ خطرًا على الإلحاد الجديد من الدين، حيث أن الإلحاد الجديد ذو سرديّة مستقلة متكاملة؛ تنزع نحو علمنة المجتمعات ودعم الليبراليات. لكن الطرح (ما بعد الحداثي) يهدد تماسك تلك المنظومة، ويفرغها من مضمونها الشمولي بتأكيده على التعددية الثقافية ومعيار النفعية.

إنَّ ما بعد الحداثة تعامل أطروحة الإلحاد –التي تدّعي التماسك والتكامل– معاملة النصوص المتخمة بالرموز والإشارات، حيث يلزم من مقتضى الإلحاد انفصال الدالة عن مدلولها، وتعدد التأويل وتفكك المعنى، وبالتالي انتصار فلسفة ما بعد الحداثة على الإلحاد، فتسود العدمية واللاغائية بديلًا عن الإلحاد المتخم بالنصوص والرموز الكاذبة –التي لا تتوافق وفلسفته–، وهنا يُجتث الإلحاد إذا وافق على نصوصه ورموزه وتقعيداته التي يبرر بها وجوده؛ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾.[٣٨]

---

(٣٨) سورة إبراهيم: ٢٦.

(اللاأدرية)

اللاأدرية هي مرحلة منتصف الطريق، إذ لم تجزم بوجود خالق ولم تنفِ وجوده، بل تجعل كل الاحتمالات قائمة، وإذا كان التأزم النفسي الشديد قد يؤدي إلى الإلحاد تخلصًا من الدين، أو يؤدي إلى الدين تخلصًا من الإلحاد، فإن اللاأدرية تحبس صاحبها في قلب حالة التأزم.

وهي بذلك أشبه ما تكون بمرحلة عارضة طارئة، لذا فهي أقل الفرق الإلحادية الثلاث أتباعًا، إذ أن البدهيّة المُركبة في البشر هي الوصول إلى الحقائق والاستقرار عليها، وإلا ما حدث تقدم في حياة البشر، أما اللاأدرية فهي تفترض حالة من حالات منتصف الطريق، ولذا فهي غير مستساغة، ولا توجد لها ركائز داخل النفس، ولا يقبل الإنسان السوي أن يحيا ويموت تحت هذا المُسمى (لاأدري).

وفي الحديث، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "إن العبد الكافر يأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها".[٣٩]

والشاهد من الحديث أن هذا حال اللاأدري في قبره، نعوذ بالله من عذاب القبر!

مَن الذي عليه عبء الإثبات؟

في البداية علينا أن نقول إنَّ القضية الوجودية الكبرى لا تحتمل الركون في منتصف الطريق، ولا تحتمل عدم الوصول، فالأمر جد وليس بالهزل؛ مِن أين جئنا وإلى أين نحن ذاهبون؟!

والذي لا خلاف عليه بين المؤمن والملحد واللاأدري أن كل متع الدنيا وكل شهوات العالم لا تكفي إنسانًا يعلم أنه وُلد ليموت. فالقضية الوجودية الكبرى هي أعظم القضايا على الإطلاق، ولذا لا تحتمل أنصاف الحلول –كما تقتضي اللاأدرية–، أو التأجيل للمستقبل لعل العلم يُخبرنا شيئا –كما يقتضي الإلحاد فيما يُعرف بفجوات المستقبل المعرفية–.

الذي يؤمن بوجود الله والذي يُنكر وجوده مُطالبان بمنتهى البساطة بطرح منطقيٍّ متكامل، وبما أن ادعاء وجود الله له من الوجاهة والأدلة والقرائن الشيء الكثير مثل؛ السببية والعناية والقصد والغاية والإيجاد من اللازمان واللامكان، ودليل الحدوث، ومعجزة خلق الحياة،

---

[٣٩] رواه الإمام أحمد وأبو داوود وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص١٥٦.

والنبوات والدين والفطرة والأخلاق، والمعايرة الدقيقة لحظة الخلق الأولى لكل الموجودات، والمعايرة الدقيقة في كل شيء حولك وداخلك، ومعضلة الخير واستيعاب الخير والشعور بالامتنان.. وما لا يمكن حصره من الأدلة.

وبناء على ذلك فإن عبء الدليل ينتقل إلى المنكر –منكر وجود الله–، وهذا ما يفعله القاضي المنصف حين يطلب دليل نفي من المتهم، خاصة لو كانت تحت يديه عدة إثباتات أو حتى قرائن. فمثلًا في قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسه، شهد شاهد من أهلها وجاء بقرينة تدل على أنها هي التي راودته عن نفسه، وبالتالي انتقل عبء الدليل ليكون على المنكر، وبالمثل؛ نقول إن قرائن كبرى عقلية –كالتي ذكرناها– تجعل عبء الدليل في الحقيقة على المُنكِر.

لكن جميع ردود مفكري اللاأدرية والإلحاد كانت من السذاجة والسماجة بمكان، فمثلًا يقول برتراند راسل: إنه لا يستطيع إثبات وجود الله، كما لا يستطيع نفي وجود إبريق شاي يدور حول كوكب زحل، كذلك يقول الملحد المعاصر ريتشارد دوكينز: إنه لا يستطيع إثبات وجود وحش سباجيتي طائر، أو نفي وجوده، ويقول آخر: لا نستطيع إثبات وجود تنين قابع في جراج، وهذه الأمثلة يستخدمها الملحد العربي كثيرًا –بنفس القدر من السذاجة والغباء–، ولا ندري ما وجاهة هذه الأمثلة الساذجة التي لا تمت بأيّة صلة للعلل والمعلولات والأسباب والنتائج؟!

هل لإبريق الشاي صلة بالسببية أو الغائية أو الضبط؟

هل إبريق الشاي معلول –مخلوق–، أم عِلة –خالق–؟

هل إبريق الشاي سبب أم نتيجة؟

هذه الأمثلة الساذجة توضح أن كبار مفكري اللاأدرية والإلحاد على قدر مدهش من السذاجة، فهذا تناقض جوهري لا يفرق بين المعلول والعلة أو السبب والنتيجة؛ نحن نتحدث عن علة أولى –خالق–، لا عن مخلوق، نحن نتحدث عن سبب لا نتيجة هذا التناقض المُركب Paradox في الطرح يؤكد عدم استطاعة كبار مفكري اللاأدرية والإلحاد. مجاراة المتدينين في وجاهة الأدلة وكثرة القرائن، وحضور المنطق في الطرح. فلم يبق لهم إلا الإفلاس المعرفي والطرح المتناقض؛ الذي يعبر عن عدم استيعاب المسألة.

وبذلك يصبح عبء الإثبات Burden Of Proof إشكال دائم لدى الملحدين، لم تتم الإجابة عنه –ولو بصورة ساذجة أو بسيطة– منذ آلاف السنين، وحتى الساعة، ويظل موقف المتدين هو الأكثر عقلانية ومنطقية، خاصة مع تكامل فلسفته، ورؤيته للحياة والوجود من حوله. ولو سلمنا بصحة نظرة اللاأدرية –على العموم– للأمور، لتحولت المعرفة والعلوم الإنسانية المتراكمة عبر العصور إلى خبرات عبثية غير موضوعية، ولا يمكن الاعتداد بها.

تحتج اللاأدرية بمنطق أن خبرتنا لا موضوعية، وبالتالي يستحيل الإجابة عن مسألة وجود الله –سبحانه وتعالى–، وكأنهم يُعرفونها مسبقًا بأنها موضوعية، فمن الذي قال أنها موضوعية أو غير موضوعية؟ ومَن أدراهم أنها مسألة مستقلة وليس كمثلها شيء؟ ثم إنهم لا يضعون احتمال وصول معرفة الله إلى وجداننا بطريقة نعلمها أو لا نعلمها!

إنّ عدمَ معرفة جوهر الشيء لا تعني انتفاء وجوده، فنحن لم نعرف جوهر المادة ذاتها حتى الآن! والإنسان يستطيع الإيمان بالأشياء المجردة والمطلقة، دون القدرة على الإحاطة التامة بها، فالعقل الإنساني يستطيع أن يصل إلى حتمية وجود قوة إلهية خارجة عن أبعاد الكون التي يعهدها، وأغلب البشر يؤمنون بالله تبعًا للفطرة الداخلية، دون إعمال كثير عقل، ويتبعون الدين السائد؛ والله يفصل بينهم يوم القيامة. هناك مَن يُعمل عقله فيهتدي، أو ينحرف، حسب درجة البحث ومصداقيته.

وخارج كل هذا تقع (اللاأدرية) بلا مستند ولا ركيزة ولا معنى![٤٠]

---

[٤٠] جرت أكثر من مناظرة بيني وبين اللاأدريين، وقد جمعت هذه المناظرات في كتاب يحمل مناظرة اللاأدريين، وهو متاح على هذا الرابط لمن أراد مراجعته:

laelhad.com/index.php?p=8-0-93

(الربوبية)

وهنا نود أن ننتقل للحديث عن الربوبية؛ وهي الإيمان بالخالق مع إنكار الديانات، ونحن نعلم قطعًا -الموافق منا والمخالف- أن العلماء الناظرين في الطبيعة وقوانين الكون لم يخطر ببالهم قط أية خرافة أرضية عن آلهة وثنية، وإنما إله واحد عليم قدير، الإله الذي قال عنه داروين: "أما وجود حاكم للكون؛ فهذا مما دانت به جموع من أعظم العقول التي وُجدت على الإطلاق".(٤١)

ثم إن آثار صنع الخالق هي موضوع النظر العقلي، هذه حقيقة يجب أن نتفق عليها أولًا، فهناك ضرورة علمية متحصلة من النظر في تلك الآثار، وواجب عقلي معرفي متحصل -مثل اتصاف الخالق بالقدرة والعلم والإرادة والاختيار-. والقول بأن إمكان العلم بالخالق ممتنع عقليًّا باطلٌ عقليًّا وواقعيًّا، وجماهير الربوبيين دليلٌ على ذلك.

فالربوبية في أصلها توكيد سامق على أن العقل يُسلِّم -مستقلًّا- بوجود الخالق الصانع القدير، لكن العقل بلا وحي يُجيزُ كلَّ الممكنات والمحالات على الخالق، وتستوي عنده الفهوم، أمّا مع الوحي فيلزمه تصحيح التصور وأن يعتقد ما يطابق الوحي. وهناك صفاتٌ للخالق وأفعالٌ لا يستقل العقل مع وجودها -كالاستواء والعلو ومباينة المخلوقات-.

الفرق بين الربوبي والمؤمن؛ أن الربوبي يفترض في الخالق الخلق وإيداع القوانين ثم ترْك الكون، بينما المؤمن يرى أن الخالق لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، والخالق كل يومٍ هو في شأن، والخالق هو الدهر يُقلب الليل والنهار، والخالق يجيب دعوة المضطر ويكشف السوء، وما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها، وما من ورقة تسقط إلا يعلمها -سبحانه-.

ما الرؤية الربوبية إلا تمسك بالنماذج الميكانيكية لعقلانية عصر التنوير، وكأن الكون شيء آلي تركه الله يعمل من غير أن يتدخل فيه، فهو معرِض عنه بالكلية، ومتعالٍ عنه، وكائنٌ ورائه.

---

(41) Darwin, Charles (1902) "The Descent Of Man", p131.

إن القضية هنا هي سيطرة النموذج الميكانيكي على العقل؛ حيث تبرد مشاعر الحب، وتروج خرافة انفصال العاطفة عن الفكر -التي نقدناها فيما سبق-، وحيث تُرى المادة شيئا مستحقرًا أرضيًّا، بينما الروح شيء متسام، ولا يوجد بينهما اتصال أو تنازل. لكن واقع الأمر أنّ الله هو خالق المادة والروح، وأنّ الله قال في كتابه "فاسجد واقترب" فالاقتراب بالجسد والروح، فالرؤية المغلوطة تسببت في عقيدة مغلوطة، لذا عندما جاءت الحركة الرومانسية في قلب أوروبا انهارت المدرسة الربوبية الجافة، وقال توماس كارليل Thomas Carlyle كلمته الشهيرة: "إله الربوبيين إله غائب، يقعد بلا عمل منذ السبت الأول خارج أطراف كونه، ليراه يعمل".(٤٢)

يعتمد تصوّرُ الربوبية على فيزياء نيوتن، وحتميات فيزيائية لم يعد لها وجود واقعي اليوم، أو بمعنى أدق ظهرت رؤى أوسع لعالم تحكمه احتمالات لا متناهية، مثل نظرية النسبية والكوانتم ونظرية تأثير الفراشة، وهنا تظهر قيومية الله في كل آن .

وهنا نؤكد على أن بنية العقل لا تتبدل بتبدل التصور، وإلا لاستحالَ علينا العودة إليها واستعادتها، ما يحدثُ هو أنّ التصور الخاطئ عن العقل يمنع عناصر تلك البنية من العمل في تناغم. ولذا يناشد ماكس بلانك العقلاء أن يعترفوا بالمكوِّن الديني في حياتهم، حتى يعيشوا في تناغم واتزان.(٤٣) فنجاح الإنسان الحقيقي عند ماكس بلانك -مؤسس النظرية الكمية- في إحياء المكون الديني داخله.

إنّ الدعوة الربوبية هي دعوة استبدادية ودون مستند، فإما أن نُثبت خالق عليم قدير -معنيّ بما خلق-، وإما أن نُثبت وجوده ثم نقرر أن ننفي صلته بما خلق، وهذا لعمري يحتاج إلى دليل أكبر من الدليل الذي يحتاجه الملحد ليثبت صحة إلحاده. وعندما يأخذ العقل حقه كاملًا؛ الفطري والطبيعي، لن يتحول إلى الربوبية، لأنّ الربوبية تحييد واختزال للعقل.

فالعقل أخلاقي Moral أدبي Ethical عاطفي Emotional قيمي Value-Oriented غائي Teleological إنساني Anthropic جمالي Aesthetic كوني Cosmic، وليس عقلًا منطقيًّا Logical حاسوبيًّا Computational رياضيًّا Mathematical آليًّا Mechanical تجريبيًّا Empirical فقط.

---

(42) Thiselton, A., “A Concise Encyclopedia Of The Philosophy And Religion”, p61.
(43) Planck, Max (2001) The Mystery Of Being, p161.

فالتصور الأوفق للعقل يؤسس لمطالب منطقية Logical، وعملية Pragmatic، ونفعية Utilitarian، وأخلاقية Moral. وفي هذه اللحظة سيدرك الربوبي أن كفره سياسيٌّ ونفعيّ، يختزل الجوانب الأُخرى للعقل ويحييدها ويتجاهلها بالكلية، وستكون مشكلته مع عقله –حلبة الصراع الأكبر–.

وأكبر دلائل حيازة العقل على كل ما سبق؛ أن الذي يتوسع قليلًا في استخدام الجوانب الأُخرى من عقله يتجه نحو الربوبية، مع عدم المستند النقلي، والذي يتوسع أكثر ويتبنى الاستخدام الأمثل والأكمل لعقله يدخل الآفاق الرحبة للدين!

إنّ ظهور المدارس الربوبية داخل قلعة الإلحاد يؤكد أن العقل ليس نفعيًّا بصورة كليّة، وإلا لما وجِدَ المذهب الربوبي. فالخالق ليس فكرة أو خاطرة عقلية، إنما هو جزء لا يتجزأ من تمام إنسانيتنا واستخدامنا لعقولنا. ثم إن الحاجة العقلية لوجود الخالق ليست من تلفيقنا أو صنعنا، بل إنها تعتبر دليلًا إليه، ويجب أن ننظر إلى شواهد عظمة الخالق مجتمعة، لا متفرقة، فباجتماع الأدلة تكون الرؤية أكمل. لكنَّ أصلَ قضية الربوبيين؛ أنهم ينكرون قيومية الله على كل شيء، فأنكروا صفاته وأفعاله، وصاروا كمن يؤمن بالعدم.

كذلك يفترضون أن الإله يخلق دون سبب أو غاية! إنّنا نصف مَن يفعل شيئا دون سبب بالأبله، فكيف يصفون إلههم بهذه الصفة؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٤٤]، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.[٤٥]

فإذا كنا هنا لغاية، فما المانع أن نُوجَّه إليها عن طريق رسالة سماوية؟

إن إنكار الدين يُفرِغ الألوهية من جوهرها، ولا يستطيع العقل أن يصل إلى حقائق الوجود دون معونة من الرسالات السماوية.

وحريٌّ بي عند هذه النقطة أن أنقل مناظرة حول قدرة العقل على الاستقلال بالفهم، حول صفات الإله في الربوبية (أو اللادينية)، دارت هذه المناظرة بيني وبين أحد الربوبيين على (منتدى التوحيد).[٤٦]

[٤٤] سورة المؤمنون: ١١٥.

[٤٥] سورة ص: ٢٧.

[٤٦] منتدى التوحيد: منتدى إلكتروني على شبكة الإنترنت، مختص بحوار المذاهب الإلحادية والفكرية.

– المداخلة الأولى (د. هيثم طلعت)
ما زلت بانتظار الربوبي..   وأرجو عدم الحيدة؛   هل إلهك يفكر؟ أُريد أيَّ دليلٍ عقليّ.

التعليق الأول (الربوبي)
الزميل الفاضل.. سأرد على طلبك هذا من خلال النقاط التالية؛   أولًا: إثبات صحة الربوبية لا يتطلب الإقرار بإله ذي مواصفات معينة، يتطلب فقط الاعتقاد بأن هناك خالق للكون، وبأن الوجود لم ينشأ عن طريق الصدفة، بغض النظر عن صفات هذا الخالق.   وبالتالي نجاح أو فشل الربوبيين في إجابة سؤالك هذا لا يؤثر على مدى صحة الربوبية، ومسألة أن علم الله أزلي أو غير أزلي لا يمكن أن تؤدي لانهيار الربوبية.   فيمكن أن أكون ربوبيًّا أؤمن بوجود خالق للكون، وأعتقد أن علمه أزلي، (إذا كانت أزلية علمه هي الأقرب لمنطقي وعقلي الخاص).   ويمكن أن أكون ربوبيًّا أيضًا، أؤمن بوجود خالق للكون، ولكن أعتقد بأن علمه ليس أزليًا، (إذا كانت عدم أزلية علم الله هي الأقرب لمنطقي وعقلي الخاص) .   في الحالتين؛ أزلية أو عدم أزلية علم الله لن تؤثر في ربوبيتي، طالما كانت الصفة منطقية وعقلانية بالنسبة لي.   ثانيًا: الاعتقاد بإمكانية إثبات الكمال الإلهي –بما في ذلك أزلية العلم الإلهي– عن طريق العقل هو موقف يجد الكثير من التأييد من الكثير من المصادر الإسلامية المعتبرة .   وجدت هذا الموقف لدى المحاورين في المنتدى كما في الاقتباس أدناه: "إذا أقررنا بوجود خالق للكون فمن السهل معرفة صفاته، فالذي يخلق الكون لابد أن يكون أعظم منه، والذي يخلق الذرة والخلية لابد أنه يدرك كل الأمور صغيرها وكبيرها، والذي يخلق الأحلام لابد أنه عالم بما في النفوس، والذي جعل لكل داء دواء لابد أنه يشفي من كل شيء، والذي يهلك الناس بأنواع الموت لابد أنه جبار، والذي خلق الرحمة

بين الأم ورضيعها لابد أنه أرحم الراحمين، والذي كتب الموت على الحجر والشجر والبشر لابد أنه أقوى من الجميع، والذي خلق عقل الإنسان لابد أنه عليم حكيم، والذي أبدع الكون لابد أنه بديع، والذي خلق الجميع من عدم لابد أنه الأول والآخر، والذي خلق الإنسان وجعله العاقل الوحيد بين الخلائق وسلطه عليها لابد أنه ميزه و فضله عليها جميعا، والذي فضل الأرض على جميع الكواكب لابد أنه ميزها عن غيرها".

ووجدت هذا الموقف في أحد أهم المواقع الإسلامية التي تصف العقيدة الإسلامية (الموسوعة العقدية بموقع الدرر السنية)، في الرابط التالي:

http://www.dorar.net/enc/aqadia/1244

حيث قالت الموسوعة:

"العقل يدرك بأن الرب لابد أن يكون كامل الصفات، ولكن هذا لا يعني أن العقل يثبت كل صفة بعينها أو ينفيها، لكن يثبت أو ينفي على سبيل العموم، الرب لابد أن يكون كامل الصفات سالمًا من النقص، فمثلًا؛ يدرك بأنه لابد أن يكون الرب سميعًا بصيرًا".

ووجدت هذا الموقف عند محاوري أيضًا؛ حين قال:

"وأنا أعترف أنه ربما تصل نسخة منهم (اي من النسخ المتعددة للعقيدة الربوبية) إلى حد الكمال فعليا".

ثالثًا: بالمنطق البسيط وبدون اجتهاد يمكن تصور الكمال الإلهي وأزلية العلم الإلهي..

بالنسبة لي تحديدًا؛ أقول أنني أميل للظن –ولا أجزم– بأن الله علمه أزلي، وبأنه لا يفكر.. فالجزم في صفة من صفات الله شيء لا يميل له الربوبيين عمومًا، يعتبرونه تجديفًا وتجاوزًا للحدود، إلا إذا كان المنطق الواضح والبسيط يؤكد صحة هذه الصفة، بعكس الأديان التي كثيرًا ما تقع نصوصها في التشبيه في صفات الله (بسبب دخولها في بعض تفاصيل طبيعة الذات الإلهية)، ليأتي التأويل بعد ذلك (وهو نوع من استخدام العقل بشكل مضاد للنص) لنفي ذلك التشبيه الذي جاء به النص.

أما عن سبب ميلي للظن بأن الله ذو علم أزلي؛ فبالمنطق البسيط طالما أقررت بأن الله قد خلق كل شيء من العدم، وأنه مطلق القدرة، فهو بالضرورة سيكون عليمًا بكل شيء، تصور معي الحال لو كان علم الله غير أزلي؛ في هذه الحالة ستوجد بعض الأشياء خلقها الله،

ولكنه يجهل بعض الحقائق عنها! وهذا لا يستقيم منطقًا، فالأولى بالخالق أن يعرف صفات مخلوقاته، ومن ناحية أخرى فإن المعرفة أو الحقائق أو القوانين هي في حد ذاتها مخلوقات إلهية، فكيف يخلقها الله ثم لا يعرفها!! والكون يسير وفق خطة محكمة (كما تشير كل حقائق الكون)، هذه الخطة وضعها الله فكيف يكون جاهلًا بها، وقدرة الله غير محدودة بأقصى ما يمكننا نحن البشر تصوره (كما يشهد بذلك خلق الكون)، فلابد إذًا أن يكون علمه غير محدود بنفس الحدود، فالقدرة والعلم متلازمان بالضرورة.

ولو أردت التبسيط؛ قم بسؤال أي شخص يقابلك نفس هذا السؤال (هل علم الله أزلي أم حادث؟)، فسيجاوبك هذا الشخص من عقله وبمنطقه البسيط ولن يجاوبك بنص ديني، لن يقول لك بأن علم الله أزلي لأن هناك آية كذا تقول كذا، بل سيقول لك بأن علم الله أزلي لأنه بالمنطق البسيط كذا كذا كذا، ونفس الشيء يتكرر في صفات الكمال الإلهي الأخرى التي ننسبها له، والتي يسهل اشتقاقها من المنطق البسيط، الموضوع لا يحتاج ذكاء ولا عبقرية، الموضوع تقريبًا بدهيّ.

الخلاصة؛

كل ما تقدم يجعلني أستنتج بارتياح أن إدراك الكمال الإلهي –بما في ذلك أزلية العلم الإلهي– هو شيء يمكن استنتاجه عقلًا، وبقدر من اليسر والبداهة، ولا يصح أبدًا أن نقول بأن هناك من لا يصل للحق ويضل إذًا، فالحق هلامي وغير واضح، ولا يمكن الوصول للحق عقلًا، ولو صح ذلك لأمكن اعتبار أن الـ٩٠% من البشر ممن لا يؤمنون بالإسلام على نهج الكتاب والسنة الصحيح، هم بمثابة حجة تثبت ضبابية الإسلام وعدم وضوحه، وتثبت أن من غير الممكن الوصول لقناعة بصحة الإسلام عن طريق العقل فقط.

أما قولك: "بالمناسبة هناك مليارات البشر يستخدمون أيضا الدليل العقلي للتأكيد على أن الرب يفكر ويتدبر ويعيد حساباته، وتوجد بالكتاب المقدس نصوص كاملة تؤكد أن الرب يفكر ويتدبر ويعيد حساباته –كما ورد في سفر التكوين الإصحاح الثامن والتاسع–؛ فبعد أن هلك الهالكون بطوفان نوح ندم الرب على ذلك وقال: "وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت" سفر التكوين، الإصحاح الثامن، العدد ٢٢.

يوجد الآن مليارات من البشر يستخدمون الدليل العقلي لتبرير هذا الكلام في الكتاب المقدس، ولا تُحدثني عن سخافة عقول هؤلاء، لأنهم يستخدمون نفس الدليل العقلي الذي تستخدمونه تماما، أم تعتبرون أن الدليل العقلي حصري على الربوبيين؟

وهكذا تشترك الديانات الكفرية والمذاهب الربوبية في سب الإله وشتمه، فالعقل الذي يُنزه هو العقل الذي يُوثن، فالعقل قاصر إلى حد بعيد، ولابد من نور الوحي، ولابد من النقل لإثبات صفات الكمال لله عز وجل".

أستاذي الفاضل.. أرى منطقك غريبًا بعض الشيء في هذه المسألة؛ أنت تقول بأن الكتاب المقدس فيه آيات تشير إلى أن الله يفكر ويعيد حساباته، والمؤمنين بالكتاب المقدس يستخدمون العقل لتبرير ذلك الشيء، إذًا استخدام العقل يمكن أن يؤدي للاعتقاد بأن الله يفكر !

يا سيدي الكتب (المقدسة) –والتي هي مقدسة فقط عند من يقدسها– هذه الكتب لا مجال فيها للعقل؛ الكتاب المقدس يقول أشياء كثيرة تنافي أبسط قواعد العقل والمنطق، وأنت تعرف ذلك جيدًا، وبالطبع المؤمنون بها يلجأون لنفس الأساليب التي يستخدمها جميع المؤمنين، لتحقيق التواءم الصعب بين العقل والنقل، فَهُمْ:

– إما أن يتهموا العقل بالقصور.

– أو يلجأوا لتأويل النص.

ولكنهم مع ذلك –أعني المسيحيين واليهود– يستحيل أن يقبلوا في عقيدتهم شيئا هم يقرون بأنه شيء لاعقلاني أو لامنطقي، فهذا يهدم أساس عقيدتهم، وأنا بدون أن أرجع لأي مصدر وبدون أن أبحث كنت متأكدًا بأنهم يُأوِّلون هذه الفقرة التوراتية لينفوا عن الله صفة التفكير أو الندم، وفعلًا كان تقديري صحيحًا، عندما بحثت في المصادر المسيحية وجدت ذلك تمامًا، وإليك المصدر:

http://www.gotquestions.org/arabic/arabic-god-change-mind.html

ومن ناحية أخرى وبنفس قياسك، فإن القرآن نفسه فيه من الآيات التي يمكن أن يفهم من ظاهرها بأن الله يفكر ويتراجع عن قراراته، وما أكثر الآيات القرآنية الناسخة لآيات أخرى، والتي لا يمكن تبريرها بضرورة التدرج في إنزال الأحكام، وما أكثر الآيات والأحاديث التي

تصف انفعالات إلهية –حزن، ضحك، فرح.. إلخ–، وكل هذه الانفعالات تناقض علم الله الأزلي (لو أخذنا بظاهر النصوص دون تأويل).

أعلم أنه مع التأويل كل شيء يمكن أن يفسر لإزالة هذا التناقض، ولكن لماذا تتحامل على التوراة إذًا، وتتهمها بأنها تتهم الإله بأنه يفكر ويعيد حساباته، أيحق لكم فقط التأويل ولا يحق لهم ذلك؟!

الخلاصة:

باختصار شديد.. المشكلة تكمن فقط في ظنك الخاطئ بأن النصارى يدّعون بأن الله يفكر، وهذا غير صحيح، النصارى يأوِّلون النص الذي سقته أنت لينفوا عن الله صفة التفكير والحيرة والندم، تماما كما يأوِّل كلُّ المؤمنين نصوصهم حين تعارض العقل، وتأويل النصارى لهذا النص يثبت بأن العقل والتفكير السليم يتعارضان مع فكرة أن الإله يفكر أو يغير رأيه، لذا لمّا رأى النصارى تعارض هذه الفقرة التوراتية مع العقل قاموا بتأويلها، يعني الدليل هو ضدك وليس في صالحك؛ فهو يثبت –بداهة– فكرة أزلية علم الله الازليّ وتوافقها مع العقل (مثلها مثل صفات الكمال الإلهي الأخرى).

– المداخلة الثانية (د. هيثم طلعت)

نهاية الربوبية كمذهب باعتراف الزميل الربوبي المحاور؛

هو يقول: "فيمكن أن أكون ربوبيًّا أؤمن بوجود خالق للكون، وأعتقد أن علمه أزليّ (إذا كانت أزلية علمه هي الأقرب لمنطقي وعقلي الخاص)، ويمكن أن أكون ربوبيًّا أيضًا، أؤمن بوجود خالق للكون، ولكن أعتقد بأن علمه ليس أزليًّا (إذا كانت عدم أزلية علم الله هي الأقرب لمنطقي وعقلي الخاص).

في الحالتين؛ أزلية أو عدم أزلية علم الله لن تؤثر في ربوبيتي، طالما كانت الصفة منطقية وعقلانية بالنسبة لي".

تقول القاعدة المعرفية يا زميلنا: "لا يمكن التفكير في النسبي إلا بما هو نسبي، ولا يمكن التفكير في المُطلق إلا بما هو مُطلق".

بتطبيق هذه القاعدة على كلام الربوبي السابق والتالي؛

"الجزم في صفة من صفات الله شيء لا يميل له الربوبيون عمومًا، يعتبرونه تجديفًا وتجاوزًا للحدود".

يكون الناتج؛ الرب في المذهب الربوبي هو نسبيٌّ وليس مُطلق.

انتهى الحوار..

انتهت الربوبية.

انتهت المناظرة.

في الواقع هذا ربوبي لا يملك الحد الأدنى من احترام إلهه، وهذا ناتج الربوبية؛ (شتم الإله).

إلهكم نسبي أيها الربوبيون! الزميل يقول إن الربوبيين يُجمعون على نسبية الإله –نسبية صفاته–، فلا يمكن الجزم بوجود صفاته من عدمها؛ "ربما يكون علم الإله أزلي وربما لا يكون كذلك. الإيمان بنسبية الإله = الإيمان بالعدم = الإيمان بالحجر = الإيمان بآلهة بشرية عديدة = الإيمان بالشيء ونقيضه في آنٍ واحد .

إنها نهاية الربوبية كمذهب.

هل يُعقل أن تكون سرعة الضوء مطلقة وقوانين الثرموديناميك مطلقة وثوابت الكون مُطلقة وخالقها نسبي؟!

هل يُعقل أن يسمح الله لنا بتحديد سرعة الضوء بالملليلمتر في مسافات تبلغ آلاف الكيلومترات في الثانية الواحدة، ولا يسمح لنا أن نعرف صفات خالق الأكوان ويتركنا أمام عبث عقلي ساذج لا يستطيع محاوري أن يثبت صفة من صفات الله، ويجزم أن جميع الربوبيين كذلك حيارى تائهين .

يقول الربوبي: "الجزم في صفة من صفات الله شيء لا يميل له الربوبيون عمومًا، يعتبرونه تجديفاً وتجاوزاً للحدود"

ألم تكتفوا من شتم الإله بعد؟! أتؤمنون بإله يتصف بكل هذه النواقص؟!

أنت تعترف أن العقل قاصر عن معرفة صفات الإله، ويمكنك أن تجزم بصفة من صفاته في نفس الوقت الذي يمكنك فيه نفيها، العقل الذي يجزم هو العقل الذي ينفي!

أما زلت ربوبيًّا يا صديقي؟

ألا تتفق معي الآن أن حتمية النقل –الدين– يفرضها العقل وإلا لظل في حيرة أبد الدهر؟
أنت تقول: "الاعتقاد بإمكانية إثبات الكمال الإلهي –بما في ذلك أزلية العلم الإلهي– عن طريق العقل هو موقف يجد الكثير من التأييد من الكثير من المصادر الإسلامية المعتبرة".

ما دخلك أنت بالمسلمين أو بالمصادر الإسلامية المعتبرة؟
لماذا كلما ضاقت بكم السبل أو ضيقنا عليكم المسالك تذهبون إلى عقيدتنا؟
لماذا ٩٥% من المداخلات في منتدياتكم الإلحادية والربوبية مخصصة للحديث عن الإسلام؟
لماذا تعجزون عن تكملة حوار من أوله لآخره في عقيدتكم ومذهبكم دون التطرق لعقيدة الآخر؟

الآن ما دخل العقيدة الإسلامية بالحوار؟
إما أن تُعطينا حججك على مذهبك دون التطرق للآخر، أو تُسلّم بإفلاس المذهب وعقم العقل.
هذا الحوار مخصص للحديث عن صفات الإله في اللادينية، إذا كانت لك أدلتك المستقلة فقدمها، أمّا إذا كنت لا تناقش إلا بناء على ما عند الآخر، فقد حكمت على مذهبك بالضياع والانحلال الذاتي.

وقولك: "أما عن سبب ميلي للظن بأن الله ذو علم أزلي".
ميلك وللظن؟
تميل وتظن؟
يعني هذا وجود زميل ربوبي آخر لا يميل لذلك ولا يظن، ويرى أن علم الإله غير أزلي؟
هل أيقنت الآن أن هناك نسخ لا نهائية من تصورات الإله داخل المذهب الربوبي، وتتعدد بتعدد أفراد المذهب، وبتعدد التجارب الشخصية والخبرات لكل عضو؟
هل أيقنت الآن أن العقل الذي يؤله هو العقل الذي يوثن، وهذا يُسقط أصل أصول المذهب الربوبي؟
هل يُعقل أن يترك خالق الأكوان العقل داخل هذه المتاهة الفكرية والظنيات والتخمينات، أو

بتعبيرك (الظن والميل)؟
هل يُعقل أن يسمح الله للإنسان بتحديد ثوابت الكون بجزء من مليار مليار جزء بمنتهى الضبط والإتقان، ويترك أهم شيء في الوجود بدون شاهد، و يترك معرفته للظن والميل والهوى؟

لكن زميلنا الربوبي أحضر لنا الدليل العقلي على علم الإله الأزلي، أخيرًا أجاب عن السؤال!
الربوبي يقول: "تصور معى الحال لو كان علم الله غير أزلي، في هذه الحالة ستوجد بعض الأشياء خلقها الله، ولكنه يجهل بعض الحقائق عنها، وهذا لا يستقيم منطقًا، فالأولى بالخالق أن يعرف صفات مخلوقاته".

هل يعقل هذا؟ هل من الجائز عقلًا أن يصنع الصانع ما لا يعرف كل أبعاده؟
ثم عندما يقول: "تصور معى الحال لو كان علم الله غير أزلي، في هذه الحالة ستوجد بعض الأشياء خلقها الله، ولكنه يجهل بعض الحقائق عنها "
فهذا لا يثبت عقليًا أن علم الإله أزلي؛ إنّ صانع شاشات البلازما يجهل كيفية تناسق الإلكترونات داخل الشاشة بحيث لا تترك ثغرات غير ممتلئة، ويجهل كيفية التواصل فيما بينها، ومع ذلك يتم تصنيع الشاشات، فالجهل بهذه الأمور لم يمنع من تصنيعها .
إذًا ما زالت الإجابة فارغة!
فأنت يا صديقي لا تملك دليلًا عقليًا على أن علم الإله أزلي، مما يقضي على أصل أصول الربوبية؛ وهو الاعتماد على العقل في تحديد صفات الإله والإيمان به.

أما قولك: "ومن ناحية أخرى وبنفس قياسك ، فإن القرآن نفسه فيه من الآيات التي يمكن أن يفهم من ظاهرها بأن الله يفكر ويتراجع عن قراراته".

يا رجل ما دخلك أنت بالقرآن؟
عندما يكون هناك حوار حول القرآن أطرح أدلتك العبقرية التي لم يكتشفها جهابذة الأمة!
هذا الشريط مخصص للحوار حول صفات الإله في المذهب الربوبي.
عندك المقدرة على الدفاع عن مذهبك، دون التطرق لعقيدة الأخر على الرحب والسعة.
عاجز ومفلس ومذهبك لا يسعفك ومذهبك يوقعك في حرج شديد لبطلانه عقليًا باعترافك، لا بأس أن تنسحب.

أما اللف والدوران ومحاولة التملص فلن يجدي في الدفاع عن مذهبك.

يا صاح!

الوثنية تمثل أكبر ضربة للمذهب الربوبي:

سيظل يوجد المليارات من البشر –الوثنيين– يؤمنون بتصورات خاطئة للعقيدة الإلهية، معتمدين في ذلك أيضًا على أدلة عقلية، وبنفس الثقة التي يتحدث بها الربوبيون عن الذات الإلهية، فإن كان العقل مصدر خلل وتشويش، ومصدر الاعتقاد بالشيء ونقيضه في آنٍ واحد، فكيف يُسلمنا الإله للعقل في هذه القضية الخطيرة للغاية، بل هي أخطر شيء في الوجود؛ كيف يُسلمنا لهذا التشويش والإرباك دون نقل –ديني– يحسم القضية؟ هل يُعقل أن يجعلنا نصل لليقين في مسائل فيزيائية مادية ومعادلات قاصرة الفائدة ولا نصل لليقين في أصل الوجود وغاية كل البشرية؟

صدقني أنتم أكبر شتامين للإله ولدتهم البشرية!

هل ما زلت تُماري في ضرورية النقل؟

الآن ما الفرق بين الربوبي وبين الشيطان؟

ألا يمكن اعتبار الشيطان ربوبيًّا صالحًا والعكس صحيح؟

أليس الشيطان مؤمنًا بوجود الله؟ هل تنكر ذلك؟

أليس يستوي عندكم الراهب والفاجر، ألستم تجهلون غاية الوجود؟ إذًا هنيئًا للشيطان بمذهبكم الرائع!

المذهب الذي يجد فيه الشيطان ما يبرر ضلالاته هو –حتمًا– مذهب شيطاني.

ما الفرق بين الربوبي وبين عُباد المال والجنس؟

عُباد المال والجنس يؤمنون بوجود الله، وليس عندهم الوقت ولا الاهتمام الكافي بتكاليف شرائع الدين، وبما أنه يستوي في مذهبكم أفجر الناس وأرهب الناس للذات الإلهية، إذًا من الحماقة عقليًا تضييع الوقت في مماحكات ميتافيزيقية. وكما يقول المفكر الإنجليزي جون لوك: "إذا كان كُل أمل الإنسان قاصر على هذا العالم، وإذا كنّا نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب، فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء".

هل يوجد مذهب على وجه الأرض يؤمن بوجود الله وفي نفس الوقت يكون الإيمان بوجود الله كعدمه؟

ما الفرق بين الربوبي والملحد؟

ظاهريًا الربوبي والملحد مختلفان في أصل الأصول، وبينهما أودية وأنهار ومفاوز لا أول لها! لكن في الواقع هذا الفرق الشديد لا أثر له في العمل، وهذا من أعجب العجب، أن يكون الفريقان على عقيدتين متعارضتين وفى نفس الوقت على نفس العمل، أحدهما يعتقد بعدم وجود إله والآخر يعتقد فى وجود إله ورغم ذلك فهم لا يتميزون فى السلوك والعمل إلا من باب الذائقة الشخصية، فما هذا الإله الذي وجوده كعدمه؟!

في النهاية أنت ما زلت داخل الفخ!

والفخ الذي وقعت فيه هو اعترافك ضمنيًا بوجود نسخ لانهائية من تصورات الإله داخل المذهب الربوبي، حيث تتعدد النسخ بتعدد أتباع المذهب وبتعدد قدراتهم العقلية والتغيرات المزاجية والنمو الفكري لكل فردٍ منهم، كيف بالله عليك يُحكَّم العقل في أعظم شيء في الوجود، وكيف ينتهي التحكيم العقلي إلى هذه المأساة من النُسخ اللانهائية لتصورات العقيدة الإلهية، فهل يوجد مذهب عبر القرون بهذه الهشاشة والضعف والتعددية؟ أليست الوثنية أكثر عقلانية من مذهب تتعدد أصوله بعدد أتباعه؟

الآن الزميل الربوبي مطالب بـ:

١- الإجابة عن السؤال الرئيس الذي لم نجد له جوابًا حتى الآن.

٢- الخروج من الفخ الذي أوقع نفسه فيه.

٣- هل يوجد فرق بين الربوبي والشيطان في العقيدة والعمل أم في النهاية المحصلة واحدة؟

٤- هل يوجد فرق بين الربوبي وعُباد المال والجنس، أم أيضًا في النهاية المحصلة واحدة؟

٥- هل يوجد فرق بين الربوبي والملحد، أم مرةً أخرى في النهاية ستكون المحصلة واحدة؟

– التعليق الثاني (الربوبي)

عن جد يا دكتور ، أسلوبك في الحوار عجيب، أنت تفهم كلامي بالطريقة التي تروق لك ثم تبني عليه استنتاجات خاطئة، ومستعجل جدًا لإعلان انتصار وإنهاء المناظرة!

يمكنني أن أستعمل نفس طريقتك وأعتمد على قولك: "أمامنا أربعة نسخ عن صفات الإله، تختلف كل نسخة اختلافا جذريا عن النسخة الأُخرى، وأنا أعترف أنه ربما تصل نسخة منهم إلى حد الكمال فعليا".

ثم أقول لك إن المناظرة انتهت، فهذا الإقرار الذي قدمته أنت كافٍ جدًا بالنسبة لي لإثبات صحة عقيدتي الربوبية، (بالطبع ما لم ينقض أحد ركنيها عبر إثبات صحة أحد الأديان، أو إثبات عدم وجود إله).

ووجود فهم خاطئ بين الربوبيين لطبيعة وخصائص الذات الإلهية (بفرض وجوده) لا يضير الربوبية، فلا يضير أي حقيقة في هذا الكون وجود من يحيد عنها ويعجز عن استيعابها، والإسلام مثلاً تدرك صحته بالعقل، ولكن هناك ٩٠% من البشر ممن لم يصلوا لقناعة عقلية بصحة الإسلام "بشكله السلفي الأمثل"، فهل يضير ذلك الإسلام، أو يدفعنا للقول بأن تفاوت أفهام البشر يعني ضبابية الإسلام وعدم وضوحه واستحالة الوصول لقناعة بصحته عن طريق العقل؟

ملحوظة: يمكنك أن تجعل هذه المناظرة نزهة عقلية جميلة وذات فائدة جمة لي ولك ولكل من يتابعها، ويمكنك أن تجعلها غير ذلك، والخيار متروك لك، ولعلك تعرف أن سياسة الصوت العالي في المناظرات تأتي دائمًا بنتائج عكسية.

مداخلاتك المتعددة –٦ أو ٧ مداخلات– كلها تدور حول نفس الأفكار، ولو أخذت في الاعتبار النقاط التالية التي سأسردها، ستجد فيها ردًّا شافيًا على كل ما طرحته، فأرجو تأمل هذه النقاط بعمق، وأرجو أن يكون ردُّكَ القادم مبنيًّا على هذه النقاط فقط؛ فهي تلخص الاختلاف بيننا، وإليك بتلك النقاط:

– الربوبية تقوم على الاعتقاد بوجود خالق للكون –بغض النظر عن طبيعة هذا الخالق–، ونفي صحة الأديان الحالية.. فقط لا غير، ويمكن في هذا الصدد فهم الربوبية كخط

متصل؛ يبدأ من نقطة رفض الإلحاد، وينتهي في نقطة رفض الأديان، وفي هذا الخط عدد لا نهائي من النقاط، بعض هذه النقاط -داخل الطيف الربوبي- تنظر لصفات الإله نظرة (لاأدرية)؛ فترفض إلصاق كل أو بعض الصفات به، وبعض هذه النقاط تتعدى مسألة وصف الإله بالكمال لتفترض نوعًا من التدخل من هذا الإله في حياة البشر وفي سير الكون، وكل هذه النقاط هي مرحب بها ومعترف بها داخل إطار التنوع الربوبي، طالما لم تتجاوز حدي ذلك الخط.

من وجهة نظر ربوبية فإن الإله لا يطالب البشر بأن يدركوا خصائصه على الوجه الأكمل ويعرفوا صفاته على حقيقتها -كما في الإسلام-، فليس هناك نار مثلًا تنتظر من يخطئ في وصف الإله بوصوف الكمال، ولو كان الإله يأبه بذلك فعلًا أو يريد أن يعرفه البشر حق المعرفة ويدركوا صفاته الحقيقية -حسب المعتقد الربوبي- لقام الله بإلقاء هذه المعرفة في قلوب البشر جميعًا، أو جعل من صفاته حقائق بدهيّة واضحة لا يختلف فيها اثنان، كما يختلف اثنان حول أن لون اللبن أبيض تقريبًا وأن الشمس حارة نسبيًا..

من ناحية أخرى؛ فالربوبية لا تلزم معتنقيها بمعتقد رسمي محدد، والربوبيون يبنون قناعاتهم كلًّا على حدة، فليس لديهم نص مقدس، ولا رجال دين.. الربوبية تدعو أتباعها فقط للالتزام بمقتضيات العقل والمنطق والمنهج الصحيح في الوصول للمعرفة، واتباع منهج صحيح في البحث والتفكير، دون التقيد بنص (مقدس)، أو خوف من مكر الله، أو من كيد الشيطان، أو خوف من التعرض لشبهة بحجة أنها توهن الهمة، ودون حجب العقل خوفًا من شكٍّ يؤدي للطرد من رحمة الله وخلود في النار، بالعكس الشك عندنا مرحب به ومحمود.

الربوبيون في الواقع معظمهم يؤمنون بالكمال الإلهي واتصاف الذات الإلهية بصفات الكمال، أنا أؤمن بذلك، والزميل عيسى الربوبي يؤمن بذلك، وأحسب أن كل من مر بهذا المنتدى من الربوبيين يؤمن بذلك، وفكرة الكمال الإلهي عمومًا هي الفكرة السائدة داخل التيار الربوبي.

بعض الربوبيين يفضلون تبني موقف (لا أدري) فيما يتعلق ببعض أو كل صفات الخالق، انطلاقًا من قناعتهم بأن العقل البشري عاجز تمامًا عن إدراك حقيقة الإله، ولكن لا يوجد ربوبيٌّ واحد ينفي صفة من صفات الكمال عن الله، ومن يتخذون موقفًا لا أدريًّا بالنسبة

لصفات الذات الإلهية يفعلون ذلك من منطلق صعوبة استيعاب صفات الله عن طريق العقل، ومن منطلق أن تلك الصفات هي وصوف بشرية مصنوعة بواسطة العقل البشري، ووفق التصورات البشرية التي قد لا تصلح في التعبير عن حقيقة الذات الإلهية، وليس من منطلق وجود شك في امتلاك الإله لصفة من صفات الكمال.

العقل البشري –ووفقًا لمعطياته الحالية– قادرٌ على إدراك حقيقة اتصاف الله بصفات الكمال، يؤمن بذلك معظم الربوبين، ويؤمن بذلك أيضًا الكثير من المسلمين، وغيرهم من البشر، والقرآن يشير لذلك ضمنًا (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، حتى النصارى الذين تتعارض نصوصهم بوضوح مع حقيقة اتصاف الله بصفات الكمال، قاموا بتأويل النصوص لإثبات صفة الكمال الإلهي، لأنها الاقرب للعقل والمنطق.

عدم قدرة البعض على إدراك حقيقة ما –إذا كانت هذه الحقيقة على درجة كافية من الوضوح– بسبب ضعف في منهج البحث أو خطأ المعطيات أو بسبب قلة الاطلاع هو شيء لا يضير تلك الحقيقة، ولا يبرر القول بأن تفاوت الناس في قدرتهم على إدراك تلك الحقيقة يستوجب استعمال وسيلة أخرى غير العقل لإدراكها، ولو كان حيد البعض –أو حتى الغالبية– عن إدراك الحقائق، والتزامُ الحقِّ يعدُّ عيبًا ونقصًا يحسب على هذا الحق، لكان الأولى هو اتهام الإسلام الذي لم يؤمن به في شكله السلفي الصحيح إلا أقل من ١٠% من البشر، فهل يصح القول بأن الإسلام غامض وضبابي، وأنه يستحيل معرفة الدين الصحيح باستخدام العقل؟

هذه خلاصة ما أريد شرحه وإيصاله عن المذهب الربوبي، وهو كافٍ في نظري لدحض كل ادعاءاتك، وفي المداخلة القادمة سأقوم بالربط بين هذه النقاط وبين ما ورد في مداخلاتك من هجوم على الربوبية، لأبين لك كيف أن هجومك هو قائم بالأساس نتيجة لعدم فهمك لهذه النقاط أو إهمالك لها.

– المداخلة الختامية (د. هيثم طلعت)

الربوبي يقول: "عن جد يا دكتور، أسلوبك في الحوار عجيب، أنت تفهم كلامي بالطريقة التي تروق لك ثم تبني عليه استنتاجات خاطئة، ومستعجل جدا لإعلان انتصار وإنهاء المناظرة".

المناظرة انتهت يا زميل باعترافك أنت وبأدلتك العقلية أنت .

الآن ركز معي قليلًا حتى أُريك كيف أنك أنت الذي أجهزت على المذهب، وأصبح المذهب باعترافك مجرد فخٍّ كبير!

الآن رجاءً ركز قليلًا في الكلام.

عندما سألتك هل إلهك يفكر؟ قلتَ: "السؤال يبدو لي فخًّا، ولكن سأجتهد لإجابته

وبشكل عام فأنا أفهم التفكير على أنه عملية عقلية يتم من خلالها معالجة المدخلات للوصول لاستنتاجات أو قرارات ، وهذا لا يجوز على الله؛ فالله يعرف كل شيء يقينا، فهو خالق كل شيء وبالتالي وبالمنطق هو مطلع على كل شيء، الله علمه أزلي، وقدراته لا محدودة، وهذا يتنافى مع وصفه بأنه يفكر، فالذي يفكر هو ينقصه علم اليقين بخصوص شيء ما، مما يدفعه للتفكير به، وهذا يتنافى مع صفات الله".

وبالفعل السؤال كان فخًا؛ فلو قلت أن الإله يفكر، إذًا انتهت الربوبية وانتهى المذهب وانتهت المناظرة كما فصلنا من قبل.

وبعدها بمداخلتين بالضبط وقعت أنت في نفس الفخ –سبحان الله– واعترفت أن المذهب الربوبي يقول بنسبية صفات الإله –احتمال الشيء ونقيضه على الإله–، عدم الجزم بصفات للإله، احتمال يكون علم الإله أزلي واحتمال يكون علم الإله غير أزلي، وكلتا الحالتين وكلا التصورين عن الإله كلاهما يقول بهما المذهب، وكلاهما صحيح المذهب، وهذا باعترافك أنت حيث قلت: "وفي هذا الخط عدد لا نهائي من النقاط، بعض هذه النقاط –داخل الطيف الربوبي– تنظر لصفات الإله نظرة (لاأدرية)، فترفض إلصاق كل أو بعض الصفات به، وبعض هذه النقاط تتعدى مسألة وصف الإله بالكمال، لتفترض نوعًا من التدخل من هذا الإله في حياة البشر وفي سير الكون، وكل هذه النقاط هي مرحب بها ومعترف بها داخل

إطار التنوع الربوبي".

إذًا لاحظ الكلمة (داخل الطيف الربوبي)؛ أي أن النسخ اللانهائية لتصور الإله في المذهب الربوبي ليست خطأ في المذهب، وليست خروجًا على المذهب، وليست تمردًا على المذهب، وإنما هي أصل المذهب.

إذًا القول بالشيء ونقيضه هو أمر من مسلمات المذهب.

إذًا أنت وقعت في الفخ الأول –الذي كنت تحذر منه– وانتهت المناظرة.

لقد كنت تحذر أن تقع في الفخ، وتحذر أن تقول إن الرب يفكر، ثم أتيت بعد مداخلتين بالضبط لتقول بالنسبية على الإله داخل المذهب، وتقول بجواز القول بالشيء ونقيضه، وتقول بوجود نُسخ لا نهائية لتصورات الإله داخل المذهب. إذًا يجوز القول بأن الإله يفكر داخل المذهب.

بالفعل أنت أنقذت نفسك من الوقوع في الفخ لكنك أوقعت المذهب بأكمله داخل الفخ!

ونحن هنا لا نتناظر حول معتقدك أنت يا زميل، ولا يعنيني تصورك الشخصي للإله، فمناظرتنا حول المذهب إجمالًا، وحول ما يقول به المذهب، وليس حول تصورك الشخصي.

إذًا ماذا تبقى يا زميل؟

لقد انتهت المناظرة.

انتهت الربوبية.

الآن نأتي لتفنيد مداخلة زميلنا الربوبي حيث أوقع نفسه في مغالطات منطقية كثيرة.

الفخ الجديد الذي وقع فيه زميلنا الربوبي حين قال: "ووجود فهم خاطئ بين الربوبيين لطبيعة وخصائص الذات الإلهية –بفرض وجوده– لا يضير الربوبية، فلا يضير أي حقيقة في هذا الكون وجود من يحيد عنها ويعجز عن استيعابها، والإسلام مثلًا تدرك صحته بالعقل، ولكن هناك ٩٠% من البشر ممن لم يصلوا لقناعة عقلية بصحة الإسلام (بشكله السلفي الأمثل)، فهل يضير ذلك الإسلام أو يدفعنا للقول بأن تفاوت أفهام البشر يعني ضبابية الإسلام وعدم وضوحه، واستحالة الوصول لقناعة بصحته عن طريق العقل؟".

هل النسخ اللانهائية لتصور الإله في المذهب الربوبي هي خطأ في المذهب وخروج على روح المذهب، أم أنها أصل المذهب؟

السؤال بصيغة أخرى:

هل التصورات اللانهائية للذات الإلهية والقول بالشيء ونقيضه كما اعترفت أنت وقلت: "يجوز أن يكون علم الإله ازلي، ويجوز أن يكون غير ذلك".

هل هذه التصورات اللانهائية المتناقضة هي تمرد على المذهب وكفر بالمذهب، أم أنها أطياف المذهب المتنوعة ووجوهه الكثيرة؟

السؤال بصيغة ثالثة:

هل الأطياف اللانهائية لوصف الإله داخل المذهب الربوبي هي ما يقول به المذهب، وكلها تحت خط المذهب، أم أنها تمثل ربوبية غير سليمة؟

الآن إجابتك مشكورة موجودة داخل مداخلتك :"وفي هذا الخط عدد لا نهائي من النقاط، بعض هذه النقاط –داخل الطيف الربوبي– تنظر لصفات الإله نظرة (لاأدرية)، فترفض إلصاق كل أو بعض الصفات به، وبعض هذه النقاط تتعدى مسألة وصف الإله بالكمال، لتفترض نوعًا من التدخل من هذا الإله في حياة البشر وفي سير الكون، وكل هذه النقاط هي مرحب بها ومعترف بها داخل إطار التنوع الربوبي –طالما لم تتجاوز حدي ذلك الخط–".

إذًا الآن هل اتضح لك مما سبق أنه لا يوجد شيء اسمه: "وجود فهم خاطئ بين الربوبيين لطبيعة وخصائص الذات الإلهية"؟

لأن أي فهم خاطئ للذات الإلهية، سيقع ضمن الخط الربوبي وضمن المذهب الربوبي وداخل الحظيرة الربوبية!

بل إن كلمة "فهم خاطئ للذات الإلهية" هذه الكلمة تدل على أنك لا تفهم أي شيء عن الربوبية؛ لأن كُل فهم للذات الإلهية داخل المذهب الربوبي هو فهم صحيح وسليم –طالما كان بالأدلة العقلية–، فمن أين لك بوجود فهم خاطئ داخل المذهب الربوبي؟

كل فهم داخل المذهب الربوبي حتمًا هو فهم صحيح، ولذا يوجد عدد لا نهائي من

التصورات للإله داخل المذهب الربوبي، وهذا ما اعترفت أنت به، بل وأكدّت عليه، إذًا هذه الأفهام اللانهائية للذات الإلهية لا تمثل خطأ في المذهب أو تمردًا على المذهب أو هرطقة في المذهب، بل هي أصل المذهب.

هل أدركت الآن خطأك الجسيم في فهم الربوبية؟ هل أدركت الآن أنك لا تستوعب أبعاد المذهب الربوبي؟ هل أدركت الآن عمق الفخ الذي أوقعت نفسك فيه حين قلت: "وجود فهم خاطئ بين الربوبيين لطبيعة وخصائص الذات الإلهية"؟

لأن هذه العبارة تنسف كل فهمك للربوبية وكل أصول المذهب الربوبي، لأنه مذهب يقوم على التعددية الفهمية، وليس حصريًا لعقل دون عقل ولا لفهم دون فهم.

أما قولك: "وفي هذا الخط عدد لا نهائي من النقاط، بعض هذه النقاط –داخل الطيف الربوبي– تنظر لصفات الإله نظرة (لاأدرية)، فترفض إلصاق كل أو بعض الصفات به، وبعض هذه النقاط تتعدى مسألة وصف الإله بالكمال لتفترض نوعًا من التدخل من هذا الإله في حياة البشر وفي سير الكون، وكل هذه النقاط هي مرحب بها ومعترف بها داخل إطار التنوع الربوبي".

إذًا أنا كلامي صحيح.

إذًا هناك نسخ لا نهائية من تصور الذات الإلهية داخل المذهب الربوبي.

طيب أنت الآن تطرح المشكلة؟

أين الحل؟

أم أن هذا أمر مفرح بالنسبة لك حتى تذكره على سبيل العرض لا التفنيد؟

هذه كارثة..

لذا نقول أن الربوبية هي انتحار للعقل.

هل يُعقل أن يسمح الله لنا بتحديد قوانين الكون بدقة تبلغ جزء من مليار المليار من الجزء ولا يسمح لنا أن نعرف صفاته وغايته من خليقته؟

هل يُعقل أن يرزقنا الله بهرمونات لو اختلت بمقدار جزء من مليون جزء من المليلتر

لتحولت حياة الإنسان إلى جحيم، ثم لا يرزقنا معرفة الغاية من خلقنا، والتي هي أهم من كل نعم الدنيا،

فمعرفة الغاية من وجودنا هي أهم من كل علوم الدنيا وكل نعم الدنيا.

هل يعقل أن يسمح لنا بمعرفة أعمق علوم المادة والطبيعة التي نستطيع أن نستغني عنها شاكرين، ولا يسمح لنا بمعرفة أعظم ما يشغل الذهن الإنساني عبر كل العصور، بل ويتركنا أمام عقل عابث قاصر –باعترافك–؟ عقل يفترض صور لا نهائية للذات الإلهية، عقل يفترض الشيء ونقيضه، عقل يفترض العدم والكمال ولا يستطيع أن يؤكد أيهما الأصح، وأنت على سبيل المثال –كأحد العقول داخل المذهب الربوبي– لم تستطع أن تثبت أن علم إلهك ازلي، وبالتالي لن تستطيع أن تثبت أي صفة للذات الإلهية، وبالتالي لو ألزمتك عقلًا أنك تعبد العدم لن تستطيع تفنيد أدلتي العقلية، فهل يعقل أن الذي خلق الأكوان والأفلاك بهذا الإحكام وهذه الدهشة والرهبة يتركنا أمام عقول حائرة قاصرة تفترض وتقترح وتضع عددًا لا نهائيًّا من الاحتمالات بخصوص أهم ما في الوجود؟

أليس هذا شتمًا مباشرًا لإلهك يا زميل يا ربوبي؟ ألست بذلك تنسف مذهبك وتصفه بالعقم اللانهائي والسخف الشديد؟

أما قولك: "من وجهة نظر ربوبية؛ فإن الإله لا يطالب البشر بأن يدركوا خصائصه على الوجه الأكمل ويعرفوا صفاته على حقيقتها –كما في الإسلام–، فليس هناك نار مثلًا تنتظر من يخطئ في وصف الإله بوصوف الكمال، ولو كان الإله يأبه بذلك فعلًا أو يريد أن يعرفه البشر حق المعرفة ويدركوا صفاته الحقيقية –حسب المعتقد الربوبي– لقام الله بإلقاء هذه المعرفة في قلوب البشر جميعًا، أو جعل من صفاته حقائق بدهيّة واضحة لا يختلف فيها اثنان، كما يختلف اثنان حول أن لون اللبن أبيض تقريبًا وأن الشمس حارة نسبيًا".

لا يا زميل ليس الأمر بهذه البساطة؛ عندما تعرف صفات الإله ساعتها ستعرف الغاية من وجودك أنت، والغاية من كل شيء حولك، وتعرف ما بعد الموت، وتعرف الحكمة والغاية والهدف، وتحدد المسار وتعرف الاتجاه!

فليست معرفة صفات الإله مجرد لغو كلامي ولا معرفة نظرية مجردة، بل ينبني عليها تصورك

لكل شيء في الوجود من حولك.

بل إن معرفة صفات الإله تجيب عن كل الأسئلة التي تحير كل العقول البشرية، وتجد من خلالها الأجوبة مباشرةً، فمعرفة صفات الإله هي المعرفة الكلية.

وقد كان أندريه جيد المفكر الفرنسي الشهير أكثر ذكاء منك، فعندما طلب منه طه حسين يومًا أن يسمح له بترجمة أعماله إلى العربية، فرد عليه أندريه جيد مندهشًا وقال: "يدهشني اقتراحك.. الإنسان المسلم يحمل من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة".

فالعقل الذي يعرف صفات الإله يعرف أنه وجد الطريق وانتهت المسألة بالنسبة له، بينما الذي ينكر النقل هو باعترافك أنت يطرح نسخ لا نهائية للذات الإلهية –أي يستحيل أن ينجو ضمنيًا–. لذا يقول الدكتور عبد الحليم محمود –رحمه الله– شيخ الأزهر السابق: "فالدين سفينة والعقل لوح خشب وقلّ من نجا بلوح خشب".

أما عن كون الإله كان من المفترض أن يضع معرفة صفاته في كل قلب، فالإله أرسل رسله وجعل الإيمان بهم مناط التكليف على العباد، وأجرى على ألسنتهم ما يريد من العباد وأخبرهم بصفاته وذاته، فمن شاء آمن وعرف الطريق وسلِم، ومن شاء أنكر النقل ودخل متاهة النَسخ اللانهائية من الاحتمالات بخصوص الذات الإلهية والغاية الوجودية، وساعتها لا يلومن إلا نفسه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ سورة النحل: ٣٦-٣٦.

أما قولك: "الشك عندنا مرحب به ومحمود".

الشك محمود؟!

درس في ذم الشك:

الشك مرحلة ساذجة وسطحية وأولية في كل علوم الدنيا وفلسفاتها، ولابد للشك أن يوصل

لليقين، وإلا لاعتبر الشك هو الغاية، وتوقف عند الشك وامتدح نفسه أنه شكاك، وجميع المذاهب الإلحادية والربوبية تعتبر الشك هو الغاية، لذا هي لم تتقدم خطوة منذ أول ملحد وأول ربوبي، فالآلية العقلية لإنتاج الشك أسهل بكثير من آليات إنتاج اليقين.

والشك يغلب على الحدث وقليل العلم، بينما اليقين يحتاج صاحبه إلى إعمال العقل ليغالب الشك، فإنتاج الشك أسهل وأيسر من إنتاج اليقين.

ولذا لا يمكننا استيعاب أن يكون الشك هو موقف حياتي دائم؛ بمعنى أدق يُمكن ان يُفهم هذا الموقف الحياتي كموقف عارض أو مرحلي، فمعنى أن يعيش الإنسان ويموت تحت هذا العنوان (شكاك) هذا مُخالف لطبيعة الإنسان البشرية، فلو كان الشك وعدم الفهم والرفض حالة مُريحة ومُمتعة ما حصل تقدم في حياة البشر، فبما أنه يوجد تقدم في حياة البشر إذًا البدهية المُركبة في البشر هي الوصول للحقائق والاستقرار عليها، إذًا النسبية والتذبذب مُخالفة للوجود بأسره،

ثم يأتي من يحمد الشك ويفرح به!

بل ويتبجح به.

فعلا نحن أمام عجائب المخلوقات!

أما قولك: "الربوبيون –في الواقع– معظمهم يؤمن بالكمال الإلهي واتصاف الذات الإلهية بصفات الكمال، أنا أؤمن بذلك، والزميل عيسى الربوبي يؤمن بذلك، وأحسب أن كل من مر بهذا المنتدى من الربوبيون يؤمن بذلك، وفكرة الكمال الإلهي عمومًا هي الفكرة السائدة داخل التيار الربوبي".

يا رجل هل أنت تعي ما تقول؟

هل نحن مشكلتنا ومشكلة حوارنا هي نظرتكم إلى الذات الإلهية، أم في دليلكم الذي من خلاله اقتبستم تلك النظرة؟

قلتم لنا: دليلنا العقل!

قلنا: سلمنا لكم بذلك.

الآن ما هو دليلكم العقلي على ذلك؟

يا رجل لقد كررت هذا السؤال قرابة العشر مرات "إما أن تُحضر دليلًا عقليًّا على أن علم إلهك أزلي، أو تعترف بانهيار اللادينية في أهم أصل من أصولها؛ وهو اعتماد العقل في تحديد صفات الإله"، وإذا لم تحضر دليلًا عقليًا على أزلية العلم الإلهي، فلن تستطيع أن تُحضر أي دليل على أية صفة أخرى.

ومع ذلك إلى الآن لم تحضر لنا دليلًا عقليًّا، وما زال الجواب متروكًا .

إذًا مشكلتكم مع العقل وليست معنا نحن، ومناظرتنا هذه هي فقط لتسليمك إلى العقل .

هل نحن أنكرنا عليكم تصوركم، أم فقط طالبناكم بالدليل والمصدر؟

هل أنت تعي أن الفرق بيننا وبينكم هو أننا نحاول أن نلزمكم بالعقل، الذي سلمتم له، وأن مشكلتكم هي مع العقل وليست معنا نحن ولا مع تصورنا أو تصوركم للذات الإلهية؟

هل تعي أن كل حواراتنا فقط لإعادتكم إلى العقل الذي انطلقتم منه؟

ما هذا الإله الذي وجوده كعدمه؟!

أما قولك: "هذه خلاصة ما أريد شرحه وإيصاله عن المذهب الربوبي، وهو كافٍ –في نظري– لدحض كل ادعاءاتك، وفي المداخلة القادمة سأقوم بالربط بين هذه النقاط وبين ما ورد في مداخلاتك من هجوم على الربوبية، لأبين لك كيف أن هجومك هو قائم بالأساس نتيجة لعدم فهمك لهذه النقاط أو إهمالك لها".

دحض ادعاءاتي؟

دحض؟

يا زميلنا الربوبي ارفق بنفسك قليلًا!

هل أنت أجبت عن السؤال الرئيسي (ما هو دليلك العقلي على علم الإله الأزلي)؟

هل أنت استطعت الخروج من فخ النسخ اللانهائية للصفات الإلهية داخل مذهبك؟

دحض ماذا يا زميل؟

أنت في هذه المداخلة أسهبت وأطنبت، وبحبة خردل ما أتيت، ثم تقول دحض .

يا زميلنا الربوبي صدقني لو كتبت ألف مداخلة لن تتحول صفات الإله في مذهبك من صفات نسبية إلى صفات مطلقة لها كل الكمال .

لو كتبت ألف مداخلة لن تستطيع أن تحضر دليلًا عقليًّا واحدًا على علم إلهك الأزلي، وبالتالي لن تستطيع أن تُثبت بالعقل أية صفة من صفات الإله، وبالتالي انتهت الربوبية.

لو كتبت ألف مداخلة لن تستطيع أن تبرر وجود نسخ لا نهائية لتصورات الإله داخل مذهبك، وكلها صحيحة .

لو كتبت ألف مداخلة لن تستطيع أن تُفرق بين الربوبي والشيطان؛ لأن كليهما ربوبيٌ صالح، وطالما لا قيمة للعمل إذًا الشيطان أفضل من ملء الأرض من الربوبيين،

والمذهب الذي يُسوّي بين الشيطان والإنسان هو حتمًا مذهب شيطاني.

لو كتبت ألف مداخلة لن تستطيع أن تحضر فرقًا واحدًا بين الملحد والربوبي في العمل؛ فما هذا الإله الذي وجوده كعدمه .

إذًا يا زميل –صدقني وسامحني– مداخلاتك مجرد لغو فارغ لا قيمة لها، مضيعة للوقت، مجرد نزهة عقلية، وأنت تريدها كذلك، ألم تُخبرني بذلك؟

لا يا زميل هذه مناظرة وليست نزهة عقلية،

ومناظرة مباشرة لا تقبل الحيدة أو التشتيت .

عفوًا.. انتهت المناظرة.

انتهت بفشل ذريع للمذهب الربوبي في كل شيء.

فشل في التعرف على الذات الإلهية بالعقل المجرد.

فشل في معرفة الغاية من الوجود وأهم ما يشغل الذهن البشري داخل المذهب.

فشل في تنزيه الإله، فشل في صياغة تصور شمولي للمذهب له أركانه ومفرداته. بل لقد تبين أن أهم سمات المذهب وأهم ما يميزه هو السماح بالتناقض، والقول بالشيء وخلافه داخل

المذهب، فالتناقض والتعددية هما أهم سمات المذهب، لكن الذي أعرفه أن الحق لا يتعدد، وهل يوجد أحق من الحق سبحانه وتعالى؟

فشل في إفراز ميثاق أخلاقي أو معرفي أو قيمي يمثل مستندًا مرجعيًّا لأتباع المذهب، لذا لا فرق داخل المذهب بين أصلح ربوبي وبين الشيطان، لا فرق بين من يؤمن بالإله ومن يكفر به، لا فرق بين الظالم والمظلوم، (عبث في عبث) هذا هو عنوان نظرة المذهب للغاية من الوجود الإنساني، ولا أعرف ما هذا الإله الذي وجوده كعدمه.

فشل في كل شيء.. إن الربوبية هي طليعة الفاشلين.

يستحيل أن تكون الربوبية هي المذهب الذي يريده الله منا،

يستحيل أن تكون الربوبية هي الغاية من وجودنا، أو هي ما يرتضيه الله لعباده،

يستحيل أن تسكن الربوبية داخل عقل يحترم ذاته أو يحترم إلهه، أو يحترم أي ذرة من ذرات هذا الوجود. .

في النهاية؛ أنا أدعو الزميل وأدعو كل ربوبي محترم إلى شهادة النجاة شهادة العقل شهادة الخلاص والإخلاص لله، شهادة السلام والتسليم لله، شهادة الحكم والتحكيم لله؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

اللهم اجعلنا هداةً مهتدين غير ضالين ولا مضلين.. اللهم آمين.

انتهت المناظرة، وانتهى حديثنا المختصر عن الفرق الإلحادية الأشهر (الإلحاد، اللاأدرية، الربوبية)، راجيًا أن يكون المراد من تسمية الباب قد اتضح لديك، لكن الرحلة ما زالت مستمرة إلى الفصل الثاني..

الفهرس

الباب الثاني

ماذا يقول الملحدون؟!

الباب الثالث

العودة إلى الإيمان


دار الكاتب للنشر والتوزيع
Elkateb for Publishing and Distribution